الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
Faculty OF Social Sciences and Humanities

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

مذكرة بعنوان:

التطور العمراني بإقليم توات خلال العصر الوسيط

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة التاريخ
تخصص: تاريخ وسيط

إعداد الطلبة:
مسعود دويم
معمر قدوده
فيصل العبيدي

إشراف الأستاذ:
أ.د عمار غرايسة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ/السعيد عقبة	أستاذ محاضر أ	رئيسا
د/ عمار غرايسة	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
أ/ زكري زكايرة	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 2023 / 2024

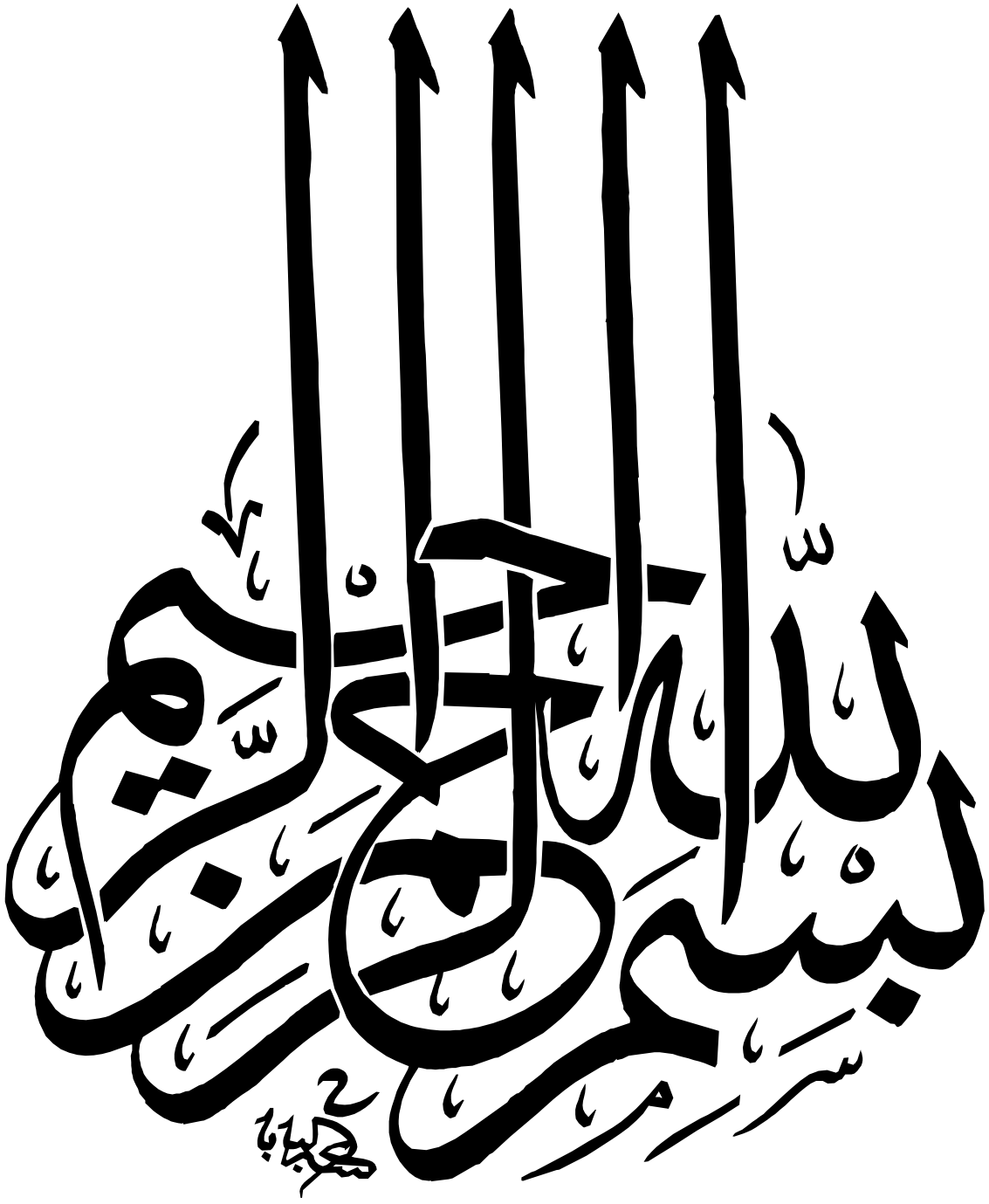
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد الله الذي بفضله، ومنه تتم الصالحات حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي أنعم علينا بأن أرشدنا لطريق الهداية ودلنا على طريق العلم وسخر لنا رجالاً منهم نأخذ قبس العلم والمعرفة.

نتقدم بجزيل الشكر، مع كل التقدير والامتنان إلى الأستاذ الدكتور الفاضل، غرايسة عمار مشرفا، ولجنة المناقشة الذين تحملوا مشقة قراءة هذه المذكرة وتصويبها، وإلى من ساعدنا من قريب أو بعيد كلٌ باسمه وخاصة الأستاذ عزالدين بوثلجة ومدير مدرسة صوادقية الجيلاني السيد عماره العبيدي الذي سخر لنا كل الإمكانيات المادية والمعنوية.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى

الوالدين الكريمين بارك الله في

عمريهما والأخوة والأخوات

وأستاذنا المشرف

مسعود داوير

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى

المرحومة جدتي الغالية وإلى الوالدين

الكريمين والعائلة الكبيرة والصغيرة

كل باسمه ولمن قدم لنا يد المساعدة

من قريب أو بعيد

معمر قطاوطاه

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من

منحني الحياة والديا الكريمين بارك الله

في عمريهما والزوجة الكريمة وإخوتي

وأخواتي ولكل العائلة

فيصل العبيدي

مقدمة

مقدمة:

بدأت العمارة منذ القدم لتلبية إحدى الحاجات الأساسية للإنسان، فمثلت له المأوى وكانت عفوية ومتغيرة باستمرار، بغية توفير الحيز الطبيعي الملائم له، الذي يحميه من الظروف البيئية في أول الأمر. لكن شيئا فشيئا بدأت العمارة تحمل أساليب معمارية وعناصر تميزها عن غيرها وفقا للبيئة الخاصة التي شيدت بها، وبدأت بعدها الظروف والحاجات الاجتماعية، والأفكار والحاجات العقائدية والثقافية للإنسان بالتأثير على بنية العمران فصار هذا الأخير انعكاسا للبيئة الحضارية، التي سادت كل مرحلة من المراحل التاريخية المتلاحقة، والعمارة الصحراوية أقيمت منذ قديم الزمان لتلائم الظروف المناخية والطبيعية الصحراوية.

جاء اختيارنا لموضوع "التطور العمراني لإقليم توات خلال العصر الوسيط" نتيجة تراكم جملة من الأسباب والدوافع الموضوعية والشخصية، أهمها:

تأثر عمران المجتمعات الصحراوية في القرن الحادي والعشرين، بالاتجاهات والمداخل الغربية الحديثة في التخطيط العمراني، حيث تغيرت معه صورة المدينة الصحراوية التقليدية. ظهور وسائل وتقنيات حديثة في عمليات البناء، ووسائل المواصلات بعد الثورة الصناعية والتي أدت إلى إهمال التقنيات الموروثة في العمارة الصحراوية.

واللجوء إلى أشكال معمارية دخيلة عن العمران المحلي لكل منطقة صحراوية.

والقصور الصحراوية كغيرها من المدن القديمة الأثرية، تعاني الإهمال نتيجة عدة عوامل أفقدتها قيمتها الجمالية والتاريخية والفنية وكذا الاجتماعية، وتهدد بقاءها إذ تتموقع أغلب هذه القصور الصحراوية بالجزائر كنواة للمدن الصحراوية الأولى، مما أدى تشوهها أو عدم تأهيلها لحدوث خلل وتشوه للمدينة الحالية ككل، وتصبح عائق أمام البرامج التنموية الحضرية وينقص من دورها الثقافي والاقتصادي، كعامل جذب للسياحة التي صارت من أكثر الصناعات نموا في العالم، لذا لا يمكن الاستثمار في هاته المعالم التراثية التي تعد اعادة تأهيلها من أكثر الظواهر الأثرية انتشارا بالجزائر، والصحاري العربية عموما دون رد الاعتبار لها، وإيجاد توازن بين حماية التراث وحفظهما من شتى أنواع التشوه والاندثار العمراني، والتنمية السياحية لتحقيق نمو اقتصادي وبيئة عمرانية مميزة تكيف بين أصالة الماضي وحاجات المستقبل بما يضمن الاستدامة.

ومما زاد في غبطتنا وتشجيعنا الاطلاع واكتشاف واقع العمران في منطقة توات ومكوناته.

إنّ كل ما أردناه في هذا الموضوع هو إبراز معالم العمارة في اقليم توات، ثم البحث عن أهم مميزاته وأبرز خصائصها ومكوناتها في مناطق توات الثلاث، سواءً من حيث هندسة القصور أو تقنية ومواد البناء، والنظر في توزيع مختلف المرافق الدينية والمدنية والعسكرية في القصر الواحد. هل هي بذلك تتشابه فتصبح متماثلة من حيث الشكل؟ أم أنّ الظروف والتضاريس ومواد البناء هي التي تفرض توزيع هذه المعالم؟

ولمعالجة هذا الموضوع اتبعنا بداية المنهج التاريخي الاستقرائي، و ذلك للتعريف بهذه البلاد من خلال الكتب والمصادر التي تكلمت أو تطرقت إليها، مقارنين كل ما ورد بين هذا الكاتب وذاك إدراكا منا أنّ الروايات التاريخية، قد تختلف في التسميات والتواريخ والشخصيات والأحداث لكن وحتى لا نحيد ونصحح ما أمكننا ذلك، اتبعنا هذه الدراسة التاريخية بالمنهج الأثري، حتى تكون الدراسة وافية، فقمنا برفع أثري لمعظم المنشآت العمرانية بقصور توات محل الدراسة، ومن بعدها قمنا بجم من المقارنات حتى نلمّ قدر الإمكان بهذا الموضوع والله الموفق.

وقد كان الرحالة العرب المسلمون أول من جاب صحراء المغرب من غير أهلها، وبلغ بلاد السودان، وقد وصفوا لنا معالمها وأحوالها السياسية والحضارية في مجلداتهم ورواياتهم.

وعليه قمنا في هذا الموضوع بالاعتماد على عدة مصادر ومراجع، منها المخطوطة ومنها المنشورة، وأما المصادر المنشورة نذكر رحلة ابن بطوطة في كتابه المعروف "تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، الذي تطرّق الى بلاد توات في الجزء الثاني من كتابه هذا وكان ذلك أثناء رحلة عودته من مالي سنة(754هـ-1353م)، والجميل عند هذا الجغرافي الكبير هو تحديد المسافات بدقة بين المدن التي زارها واصفا كذلك اهلها، وأسواقها وما يدور فيها من أثمان وسلع، إضافة إلى العلامة ابن خلدون(ت809هـ-1408م) في مؤلفه كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، أما كتاب "وصف إفريقيا" لصاحبه الحسن الوزان (ت958هـ)، فقد جاء هذا الرحالة بالكثير من خلال رحلته إلى السودان الغربي في مطلع القرن 16م متكلمًا عن إقليم توات وخص حديثه عن القورارة، وتكلم عن هذه البلاد ووصف أرضها وأهلها خاصة. ومن الرحلات نجد كتاب "الرحلة العياشية" أو "ماء الموائد" لصاحبه أبو سالم العياشي (ت1090هـ-1679م)، وأكثر ما يهمنا هو الجزء

الأول الذي جاء فيه أنه زار المنطقة خلال رحلته الى البقاع المقدسة سنة (1072هـ- 1663 م)، واصفا أسواقها متحدثا عن بعض أخبارها ذاكرا أسماء بعض قراها. ومن الكتابات الحديثة التي اختصت المنطقة نجد فرج محمود فرج في كتابه "اقليم توات خلال القرنين 18و19"، كل هؤلاء كلٌ على حسب رؤيته أمدونا بمعلومات مفيدة فيما يخص الموقع وأحوال البلاد والعباد في توات.

أما بالنسبة للمخطوطات فهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، منها ما هو محفوظ ومتداول لدى الباحثين والمهتمين بتاريخ توات ومنها ما اندثرت صفحاته وغابت كما غاب حافظوها، خاصة وأن جل أصحابها من علماء هذه البلاد رحمهم الله وجزاهم عنا كل خير، ومن المخطوطات التي مازالت محفوظة مخطوط "نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات" لصاحبه مولاي أحمد الإدريسي الظاهري تكلم فيه صاحبه عن بعض ما كان من القبائل التي وفدت الى الإقليم وبعض الأحداث التي المتّ به، مع العلم أن كل هذه المخطوطات انفرد بها أهل هذه البلاد وهذا ما لفت الانتباه، لكن ما يجدر ذكره في باب المخطوطات أنها تميل الى الجانب التاريخي والفقهي مع ذكر بعض النوازل التي أحاطت بالمنطقة، لكنها تفتقد من جهة أخرى إلى الجانب الوصفي والهندسي والزخرفي للعمارة، مما يفيد في دراستنا لمعالم هذه المنطقة.

أما ما واجهنا من الصّعاب فهي كثيرة، إذ أنّ هذه البلاد بلاد بعيدة عن مجال عيشنا وحركتنا، والذهاب إليها يتطلب العُدّة والعتاد، إضافة إلى هذا قلة المراجع المتخصصة في العمارة الصحراوية، وكل ما توفر خاصة فيما يتعلق بالمخطوطات كان جُلّها يتوجه إلى الجانب الفقهي واللغوي، وقليلة تلك التي تناولت الجانب التاريخي أو الأثري أو العمارة في حد ذاتها، ولعلى أن حلاوة الأمور في شدتها وأن كل صعوبة تزيد من همّة وعزيمة صاحبها.

مقدمة لذلك قمنا بهاتة الدراسة لنبحث في واقع العمران بإقليم توات، خلال دراسة حالة القصور لذلك فإن العمل يحتوي على ثلاثة فصول، تناولنا في الفصل الأول البيئة الجغرافية والتاريخية لإقليم توات، والفصل الثاني كان خاصا بالعمارة الدينية، وفي الفصل الثالث تناولنا العمارة المدنية والعسكرية.

فصل تمهيدي

1- الفقارة: مصدر المياه بتوات.

تتميز منطقة الجنوب الغربي للجزائر دون سواها من بقية المناطق بنظام الفقارة، الذي هو عبارة عن سلسلة من الآبار تتصل ببعض وتنحدر مياهها من مستوى ارض عال إلى مستوى منخفض يشرف على تربة صالحة للزراعة وهو نظام قديم جدا تعددت الروايات في أصله ومصدره واتفقت على شيوعه وانتشاره في أكثر من عشرين منطقة من ربوع العالم[1]. غير أن ما يميز المنطقة التوراتية في نظامها المائي هذا هو توارثه عبر الأجيال منذ عدة قرون وإلى الآن مع المحافظة على كثير من مقوماته وأسس بنائه، بالإضافة إلى أنه ساهم وبشكل كبير في توازنات السكان وانتشارهم داخل الإقليم ومن ثم الاستقرار واستمرار العيش إلى الآن وسط ظروف طبيعية جد قاسية.

فمصطلح (فقارة) في حدّيه اللغوي والاصطلاحي، وإن كان الحديث في هذا أولا يقتضي الوصول إلى أصل اشتقاق اللفظ. فلقد جاء في مخطوط نقل الرواة عمن أبدع قصور توات لصاحبه الشيخ سيدي محمد عمر بن محمد البوداوي[2]، الذي عرفها بأنها آبار متعددة يفقر من جنب كل واحد إلى الآخر فيبرز ماؤُه. ويبقى أن نقول إن أصل مادة فقّارة الذي هو الفاء والقاف والراء (فقر) جاء عند العرب بنفس المعنى الذي يحمله لفظ الفقّارة حيث يقال " فقرت البئر إذا حفرتها لاستخراج مائها، والفقير: الآبار المجتمعة الثلاث فما زادت " ويواصل القول: " وقيل هي آبار تحفر وينفذ بعضها إلى بعض وجمعه فُقُرٌ" ونلاحظ هنا دقة الشبه بين المعنيين بل تلاقيهما إلى أبعد الحدود وهو ما يعطي لهذه الرواية وجها متقدما من الصواب كما أن هناك من ذهب إلى القول بأن أصل القاف هو الجيم ومنه أن الفقّارة أصلها الفُجّارة وعلة هؤلاء أن الماء تفجر من الآبار وسال على السطح[3].

وما قيل عن تضارب الآراء حول أصل المصطلح يقال أيضا عن أصل اختطاط الفقارة، فنلاحظ تباينا في الآراء التي تذهب به بعيدا في الزمان والمكان والموطن الأصلي والإجماع الوحيد هنا هو أن النظام دخيل على المنطقة وسبقت إليه حضارات وشعوب مختلفة عجمية

1- احمد جعفري: " الفَقَّارَة ... نظام السقي الصحراوي العجيب" مقال منشور بمجلة "تراث " الصادرة عن هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام، مدينة العين / الإمارات العربية، العدد 131، أغسطس 2010.

2- محمد بن اعمر البوداوي: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة بن حسان، تنيلان، أدرار، ص:37.

3- احمد جعفري: المرجع السابق.

وعربية. وإذا كان الاختلاف حول أصل الفقارة ومبدعيها في منطقة توات لا يزال قائما إلى حد الساعة، فإن الاتفاق يكاد يكون إجماعا أيضا حول نظام السقي وطريقة ابتداعه بعد الفقارة بسنوات إن لم تكن قرونا، والشاهد ما نراه من وجه اختلاف بين فقارة هنُّو[1]في تمنطيط وبين بقية فقاقير المنطقة شمالا وجنوبا على الإطلاق، وهذا على اعتبار الرأي القائل بأسبقية هذه الفقارة على بقية الفقاقير الأخرى بالمنطقة[2].

يتكون نظام الفقارة من عدة أجزاء وتعتبر كل هذه الأجزاء أساسية في نقل المياه وهي:

أ_ البئر الرئيسي: ويتواجد في مقدمة الفقارة وبعمق أكبر من الآبار الأخرى بحيث له قوة دفع كبيرة وتكون نظيفة وغير مهملة لأنها حديثة التكوين.

ب. الآبار الثانوية: وهي آبار تستعمل لإنجاز أغراض الخدمة والصيانة المنجزة من طرف عمال متخصصين في هذا الميدان وذلك لغرض الزيادة في المردود المائي للفقارة كون هذه الآبار معرضة للردم وتراكم الرمال بحيث تعمل على الخفض من جريان المياه فالأنفاق والفقارة بالمنطقة تعاني من هذه المشاكل وذلك بسبب الظواهر الخارجية (التصحر).

ج_ نفق جوفي لتحويل المياه: وهو عبارة عن طريق يربط بين آبار الفقارة وذلك لغرض تحويل المياه ونقلها إلى غاية أغيسرو ويختلف هذا النمط من فقارة إلى أخرى في الحجم وذلك تبعا لقوة دفع الماء في الفقارة ويسمى "النفاد".

د_ أغيسرو (الساقية الكبيرة): ويختلف عن الساقية حيث يقوم باستقبال المياه القادمة من النفق الجوفي ليتم توجيهها إلى القسرية عبر أغيسرو بحيث يتم من خلال القسرية توزيع المياه إلى البساتين.

هـ_ القسرية: هي عبارة عن ممرات مستطيلة نحتت بعناية وحسابات دقيقة على قطعة حجر مستطيلة بحيث تسمح بتوزيع الماء على جميع المساهمين وذلك حسب الحصص المطلوبة أي

1 – فقارة هنو: تعتبر أعرق فقارة في المنطقة.

2 – لقد اختلفت الآراء حول أول من أنشأ الفقارة؛ فصاحب كتاب البسيط يرجع إنشاؤها إلى الأقباط والسيد عمر المهداوي يقول: ان اليهود أول من أسس الفقارة. أما صاحب درة الأقلام فيرجع إنشاء الفقارة إلى زناتة فيقول: " نزلت بعض القبائل البدوية فوجدوا مياه الوادي قد جفت فاختبروا الوادي ثم حفروا سلسلة من الآبار أنفذوها ببعضها ووزعوا بعض أراضي الوادي"؛ ينظر: مقدم مبروك، مدخل منوغرافي للمجتمع التواتي ص: 132.

كل حسب حصته من التقسيم وتوصل بالقسرية عند نهاية الساقية في أسفل الفقارة عند مدخل البساتين.

و_ الساقية: وهي عبارة عن ممر للماء مصنوعة من الطين أو الإسمنت توصل الماء ما بين قسرية وأخرى وإلى الماجن. (الملحق:01)

2- الواحة:

تتوضع الواحة بمحادة القصر، حيث تأخذ عادة اسم القصر المحاذ لها. اذ تتشكل من حقول صغيرة (بساتين وجنات) التي هي في الواقع مكاسب عائلية. كما تتميز بوجود إنتاج فلاحي وحيواني يغلب عليه محصول التمور إلى جانب بعض المحاصيل الأخرى.

تجمع الواحة بين قسمين أحدهما مسقي والأخر بور[1]. يكون الجزء المسقي منتشراً على مساحات كبيرة حول السواقي حيث أن المزروعات المحاذية (البينية) والنخيل تكون مسقية بواسطة مياه الفقاقير أو الآبار بينما ينحصر البور في مناطق تواجد نخيل، حيث يظهر عندما تنعدم وتضمحل مصادر المياه وتزحف الرمال على النخيل. ينجم عن ذلك صعوبة في استغلال هاته الأراضي وصيانة النخيل مما يتسبب في تصحر الواحة بالكثبان الرملية فتصبح مهجورة تتحول بذلك إلى واحات بور. وهذا ما أدى إلى نقص المساحات الفلاحية المستغلة.

3- القصر (القصبة أو النسيج القديم):

عندما استقرت القبائل في القصور انطبع فيها اتجاههم العمراني باختيارات معمارية بدائية تطورت مع العصور، وقد بنيت القصور حسب المناخ والمعطيات الجغرافية ومقومات الطبيعة، وهذا ما أدّى إلى تنوع التّشكيل المعماري لحاجيات معينة، ويظهر جليّا من خلال المظاهر العمرانية، إذ هناك فنون عمرانية متنوعة تسربت من الأندلس عن طريق الأطلس الصحراوي، ابتداء من القرن الرابع هجري والعاشر ميلادي،[2] وبتوفر المياه الجوفية استمرت الحياة العمرانية ذات الطابع التقليدي التي تعتمد على المواد الطبيعية المحلية، وتتميز القصور بممراتها الضيقة والملتوية القليلة التعرض لأشعة الشمس والتي تلتقي في ساحة عامة تدعى(الرحبة)، ويحيط بالقصر سور سميك محصن بأبراج معززة بشرفات، ويحيط بالسور خندق عريض عميق يتم

1 – البور: ارض أصبحت لا تستغل في الزراعة بسبب الترمل أو انعدام مياه السقي.

2 – أبو العباس الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص:178.

اجتيازه بواسطة أبواب متحركة مصنوعة من خشب النخيل، ومن الحاجيات الزراعية فإنّ القصور كانت تبنى في خطّ واحد في جانب الواحات[1]

4- الزوايا:

إن كلمة "الزاوية" مستمدة من الفعل "انزوى"، والذي يعني اتخاذ المرء مكانا معزولا له ليتجنّب مخالطة الناس، أو ليحدّ من هذا الاختلاط حتى لا يشغل بشيء غير الشيء. الذي يفكر فيه ولا يلتهي بأمر غير الأمر الذي يسعى إليه كالصلاة والتسبيح والدعاء وتلاوة القرآن، وقراءة الأوراد وغيرها من الأمور الدينية ، والزاوية لغة تعني الركن أو المكان المنعزل، وتسمية الزاوية يدل ابتداء على أنها بقعة من الأرض جاءت من انزوائها بعيداً عن بقية المناطق المتقاربة من بعضها وهي في الأصل ركن البناء وكانت تطلق في بادي الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى، ولا تزال اللفظة هذه تحتفظ بنفس المعنى عند المسلمين، ذلك أنهم يفرقون بينها وبين المسجد الذي يفوقها شأنا على أن مصطلح الزاوية ظلّ محتفظا به في شمال إفريقيا بمعنى أكثر شمولاً من ذلك، إذ يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني، وهي تشبه الدير أو المدرسة، فنجد في الزاوية جميع الأشياء التالية، أو الكثير منها، غرفه قُصِرت على تلاوة القرآن، مكتبا أو مدرسة لتحفيظ القرآن، ثم غرفا لزاوية مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، ويلحق عادة مقابر أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها .

1 -محمد حوتية: توات والأزواد، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007 م، ص-ص: 144-149.

الفصل الأول:

البيئة الجغرافية والتاريخية لإقليم توات

الفصل الأول: البيئة الجغرافية والتاريخية لإقليم توات:

تمهيد:

لقد قطن الإنسان منطقة توات منذ القديم ونظرا للظروف القاسية بها فقد استطاع التأقلم وذلك من خلال إنشاء مدن ذات طابع خاص ومميز. تمثلت أساسا في "القصر" المشكل من المساكن الطينية داخل أسوار القصبات إضافة إلى واحة النخيل القريبة والمحيطة بها، يمارس من خلالها القصوري نشاطه الزراعي معتمدا على الفقاقير كمصدر لمياه السقي. تشكل إقليم توات من قصور فاق عددها 140 قصرا أدت عدة عوامل على ظهورها؛ فمنها ما أنشأ من خلال نقاط التقاء القوافل التجارية العابرة للصحراء ومنها ما أنشأ على يد رجال الدين والمتصوفة.

المبحث الأول: الموقع والخصائص الطبيعية:

1- تحديد منطقة توات:

يتوضع الإقليم في قلب الولاية ادرار ويعتبر مركزا حيويا، لما يمتاز به من توسط للموقع وتركزا عمرانيا معتبرا. يتكون الاقليم من خمس دوائر تضم اثنا عشر بلدية؛ تسابيت، سبع، بودة، ادرار، تيمي، تمنطيط، فنوغيل، تامست، زاوية كنتة، انجزمير، سالي ورقان، احتوت ما يزيد عن 140 قصرا تتوزع على امتداد وادي مسعود من الشمال الى الجنوب. يحد الإقليم شمالا بقورارة، ومن الجنوب الشرقي بتديكلت ومن الجنوب بتانزروفت.

أ- الموقع الجغرافي:

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي من الجزائر، وتبعد أقرب نقطة منه عن العاصمة بحوالي 1500كلم جنوبا. من الناحية الجغرافية يمتد الاقليم من قصر عريان الراس بتسابيت شمالا إلى رقان جنوبا، يحده من الناحية الشمالية العرق الغربي الكبير، ومنطقة تينكورارين[1] وكذا وادي الساورة وعرق الراوي ومن الناحية الغربية وادي مسعود. يحد الإقليم من الناحية الجنوبية الغربية عرق شاش ومن الشرق هضبة تادمايت والجنوب الشرقي سبخة مكرغان.

1 _ تينكورارين: تعني باللغة الامازيغية المعسكرات وهكذا يسميها ابن خلدون وهي منطقة مأهولة بالسكان يوجد بها ما يزيد عن تسعين قصرا، وتعرف بمنطقة "القورارة" عاصمتها تيميمون. الحسن الوزاني: وصف أفريقيا، ج2، نقلا عن الصديق حاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11-14 هـ/17-20م، ص:31، وتعرف بمنطقة "القورارة" عاصمتها تيميمون.

ب- الموقع الفلكي: إقليم توات بهذا التحديد ينحصر فلكيا بين خطي طول 2.30 و3.30 درجة غربا ودائرتي عرض 26.7 و28.5 درجة شمالا. (الملحق02)

ج- التقسيم الجغرافي لإقليم توات: يتوزّع الإقليم على ثلاث جهات (الملحق03) في شكل هلال – من الشمال إلى الجنوب – على النحو التالي:

ـ جهة تينكورارين:

وتعرف تاريخيا أيضا باسمي تينجورارين والقُورارة، لكن الاسم الحديث الغالب عليها هو القورارة، حدّد ابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) موقعها على مسافة عشر مراحل من تلمسان، في بسيط وادٍ منحدر من المغرب إلى المشرق، واصفا إياها بأنها" منطقة غاصّة بالسكان مستبحرة في العمران، قصورها كثيرة تقارب المائة، تسمّى تيكورارين،[1] أمّا الحسن الوزان (ت 957 هـ / 1550م) المعروف بليون الإفريقي فقد أشار إلى موقعها شرق تسابيت بنحو 120ميلا، "وأنها منطقة مأهولة بالسكان بين حدائق النخيل، ذات أراض كثيرة صالحة للزراعة إذا ما تم تسميدها بالسماد، مشتملة على ما يقرب من خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية" [2].

وفي أزمنة متأخرة نسبياً أحصى البوداوي الجعفري (ت 1312 هـ / 1894 م) قصورها في حدود الثلاثمائة قصر، حيث يقول " وفي شرق تسابيت قصور تيكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر، في واد واحد ينحدر من المغرب إلى المشرق " [3]الواقع أن الزيادة في عدد قصور تيكورارين وقراها أو النقصان فيها يُحيلنا إلى صعوبة تصوّر مجال ثابت لهذه المنطقة، بل السمة الجغرافية الجامعة في نظر عديدٍ من كتبوا عنها أنها متداخلة مع مظاهر تضاريسية متباينة: شرقاً هضبة تادمايت الممتدة حتى شمال تيديكلت،

غرباً واد الساورة، جنوباً توات الأصل أو توات الوسطى. حيث التماثل على صعيد السكان والمسكن وأسلوب المعاش يكاد يمتد إلى واحات تيديكلت لولا الفوارق اللغوية، إذ تسود اللهجة

1-ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكّار، بيروت، دار الفكر، 2001 م، ج07، ص: 77.

2- الحسن بن محمد الوزّان: وصف إفريقيا، ط 2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983 م، ج 02، ص: 134.

3- محمد بن عمر الجعفري البوداوي: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة بن حسان، تنيلان، أدرار، ص: 08.

الزناتية معظم قصور تيكورارين، بينما تعرّبت بصفة متدرجة كل من توات وتيديكلت [1]

_ جهة توات الوسطى وقصورها: هي قاعدة أضلاع مثلث توات الكبرى، ومصدر التسمية الجامعة، لذا تسمى توات الأصلية تبدأ من أعالي قصور تسابيت عريان الراس شمالا إلى غاية انتهت (رقان) جنوبا، وتشتمل على سلسلة مترابطة من المناطق أهمها:

* **منطقة تسابيت:** ذكرها الحسن الوزّان (ت 957 هـ / 1550 م) باسم تسبت، واعتبرها من الأقاليم المأهولة في الصحراء، تضمّ أربعة قصور وقرى عديدة، أمّا أرضها فتنبت التمر وقليلا من الشعير لكن عدد قصورها بعد القرن العاشر يتجاوز الأربعة وأهمها[2]:

عريان الراس. برينكان. حماد. لعياد. أوجلان. لمعيز. الهبلة. لقصابي. بن طلحة. اسبع. القرارة.

***منطقة بودة:** وصفها ابن بطوطة (ت 779 هـ / 1377 م) في رحلته بأنها " من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيّب " [3]، وتضمّ بودة أو بودي قصورا عديدة أهمها: ابنيلو. زاوية الشيخ ابن عمر. بن دراعو. الغماريين. الغمارة. القصيبة. المنصور. زاوية سيدي حيدة. بني وزال. أولاد إعيش.

***منطقة تيمي**[4]: هي أحد مراكز توات الكبرى ، كانت في القرن 12 هـ / 18 م محل الحل والعقد ومجتمع الحرب والسلم، تتنافس الرئاسة مع عين صالح وتيميمون. كانت لها أسواق يقصدها التجار من كل مكان، للبيع والشراء بجميع السلع المتنوعة[5]. وقصورها معروفة ذات صيت منها: أولاد بوحفص. مهدية. منصورية. أولاد ابراهيم. أولاد أحمد. أولاد عيسى. أولاد علي. أولاد أوشن. أولاد أنقال. بني تامر. آدغا. بربع. أوقديم. ك وسام. ملوكة. ميمون. واينه. إضافة إلى قصر تينيلان [6] القديم المشهور القريب منها.

1_ رشيد بليل: قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، ترجمة: عبد الحميد بورايو، الجزائر، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 2008 م، ص: 03.

2_ العياشي أبو سالم : الرحلة العياشية (ماء الموائد)، تحقيق: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، الإمارات، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006م، ص: 81.

3_ المصدر نفسه، ص: 82.

4_ لا يزال العوام يسقطون اسم تيمي على حاضرة أدرار الحالية، معتبرين تيمي المدينة القديمة وأدرار المدينة الجديدة.

5_ الإدريسي مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق: مولاي عبد الله الطاهري، الجزائر، 2010، ص:105.

6_ تينيلان: من المراكز الثقافية الهامة في تاريخ توات، لفظها مركب من مقطعين: تين وإيلال، وتعني مكان الأحرار.

* **منطقة تمنطيط:** تواترَ ذكرها في عديد المصادر، مما يشير إلى أقدميتها وأهميتها، ارتبط اسمها بواقعة إجلاء اليهود على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ / 1503 م) وقصتها مشهورة. تقع جنوب تيمي ويحاذي سبختَها المنخفضة عن مستوى سطح البحر مدرجُ قصبات، على هضبة صخرية، مغطاة بطبقة من الرمال والحجارة، محاطة بالبساتين وواحات النخيل[1].

اعتبر ابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) تمنطيط آخر قصور توات من جهة المشرق، وأنها حاضرة ذات تجارة وعمارة، تنطلق من طريقها القوافل نحو بلاد السودان ذهابا وإياباً، بعدما دالت الأيام على طريق بودة، حيث قال: "...يسمىّ تمنطيت، وهو بلد مستبحر في العمران "، إلى أن قال " فتركوا تلك، ونهجوا الطريق إلى بلد السودان من أعلى تمنطيت "[2].

أمّا محمد الطيب بن عبد الرحيم التمنطيطي (ت بعد 1210 هـ / 1795 م) صاحب " البسيط في أخبار تمنطيط "، فقد أوجز وصفها في كلمات جامعات، حيث قال: " فاعلم أن تمنطيط اسم المدينة في إقليم توات وهي بها قاعدة، فيها العلم والولاية والإمارة والديانة والرياسة، انتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارة والبضائع، وكاد أن لا يستغني عنها غني ولا زاهد "[3]. وهو وصف يُحيلنا إلى المهام ذات الأوجه المتعددة التي اضطلعت بها حاضرة تمنطيط. كما أنه أحصى قصورها المتصلة بنياناً والمتلاصقة عمراناً ثلاثمائة وستة وستين قصراً، حيث يحل الضيف كل يوم بأحد القصور على مدار أ يّام السنة [4]ومن تلك القصور المتصلة بتمنطيط والمرتبطة بها نذكر ما يلي: زاوية سيدي البكري. أولاد الحاج مامون. بالحاج. بوفادي. توكي. نوم الناس. آنكير. أبنكور...

***منطقة فنوغيل:** تشتهر هذه المقاطعة بالقصر العتيق، زاوية سيدي عبد القادر الكنتي، الملازم لتسمية المقاطعة وشهرتها، إضافة إلى قصور قديمة، على غرار:

1_ محمد بن سويسي: العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا القرن 6هـ – 13هـ، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف أ د: عبد العزيز محمود لعرج، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007 / 2008م، ص: 31.

2_ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: المصدر السابق، ص: 77.

3_ محمد الطيب بن عبد الرحيم (ابن بابا حيدة): القول البسيط في أخبار تمنطيط ، مخطوط بخزانة الحاج محمد بكراوي، زاوية سيدي للبكري ، أدرار ، ص : 02.

4_ المصدر نفسه: ص:03.

عزّي. باعمور (أ بّا عمر). مكره. قصبة أولاد مولاي بوفارس. سيدي يوسف. قصبة أولاد مولاي لحسن. أولاد برشيد. تسفاوت. اعباني. العلوشية. ودغة. بن هني. وتتركّزجنوب فنوغيل مجموعة قصور وقصبات، مبنية فوق الحجارة الصلدة منها: بويحيا .الجديد. لحمر. اكيس. تماسخت. أغيل. تيطاف. غرميانو.

***منطقة زاوية كنتة:** تتوسط توات الحنة (الوسطى) ، وتتميز بوجود زاوية الرقّادي، ينتشر على جانبيها 17 قصراً أهمها: المناصير. أولاد الحاج. بوحامد. زاقلو. تيوريرين. مكّيد. أغيل. تماسخت. تاخفيفت. تازولت. آظوى. أغرماملال. زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي، وبمحاذاتها قصر بوعلي حيث استقرّ الشيخ المغيلي أواخر حياته. وهو قصر قديم نزل به البرامكة، الوافدون من المشرق بعد نكبتهم على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 هـ. 194 هـ) وتشرذمهم في الأمصار، وكان حلولهم بهذه المنطقة المعروفة بتوات الحنّة حوالي 432 هـ / 1040م، واتخذوا بوعلي مركزا لتجارتهم نحو البقاع والأصقاع المجاورة فهو بذلك أكبر قصر للبرامكة في توات .

* **منطقة آنزجمير:** آنزجمير قصران كبيران: قصر يسكنه العرب، وقصر يسكنه الأنصار المنتسِبون إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الخزرجي[1]، وتقع جنوبها قصور عامرة أهمها: تيدماين. أوغزير. الخلفي. زاوية بلال. تيطاوين. تيلولين القرية الكبيرة ذات القصور الجزئية العديدة.

***منطقة سالي:** تتكون من ثمانية عشر قصراً، جلّها يشكّل هلالاً خصباً من الواحات، أقدمها وأكبرها قصر المنصور، حيث استقرّ بعض البرامكة القادمين من العراق مع من سبقهم من قبائل زناتة وصنهاجة البربريتين، وترتبط به قصور أخرى وقصبات أهمها:

برماته. قصبة الجنة. قصبة النجّار. قصبة أولاد مولاي علي. المحارزة المتفرّعة عنها قصبة القائد المسماة (أبّابلة). العلوشية. قصبة سيدي الشريف. القصر الجديد. قصبة أولاد مولاي عبد الواحد وأخيراً أولاد مولاي العربي.

1-أبو أيوب الأنصاري اسمه خالد بن زيد بن كليب ، خصّه النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول عليه في بني النجّار ، وقد روى عدة أحاديث، مات غازياً بلاد الروم سنة 52 هـ، وقبره معلوم يُزار في مدينة اسطنبول التركية. ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذّهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط 11، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996 م، ج 02، ص: 4.

أما الجزء الآخر من منطقة سالي فهو منعزل جغرافياً يضمّ قصورا مأهولة مرتبة كما يلي: تينورت ذات القصبات المتعددة. برّيش. قصبة الحاج امبارك (المعروفة باسم بريش التحتاني). باحوا. ميمون. المستور. زاوية الحشف.

***منطقة رقان:** تُذكر كذلك باسم الركّان، وهي آخر مناطق توات الوسطى جنوباً، والمنعطف الأخير نحو منطقة تيدكلت شرقاً، ونحو تنزروفت جنوباً، ارتبط اسمها بالعالم الشيخ مولاي عبد الله الرقاني(ت1148هـ/1735م)، وابنه الفقيه مولاي عبد المالك الرقاني (ت1207هـ/ 1793م) نزيلي زاويتها المشهورة. ويقابل هذه الزاوية شمالا قصرٌ كثير السكان يسمى تمادنين، يمتد على أحياء وقصبات، يقطنه بعض الكنتاويين والفلانيين، وتتفرّع عن المنطقة قصور أخرى منها: النفيس. آيت المسعود. آنزقلوف. تاوريرت. ازرافيل. تينولاف. تاعرابت[1].

- **جهة تيديكلت وقصورها:**

تيدكلت مصطلح بربري يعني راحة اليد (الكف)، تقع هذه المنطقة جهة الشرق من توات الوسطى باتجاه الهقار "بلاد الطوارق"، تنتشر بها واحات النخيل وحوالي 50 قصرا وتنقسم إلى شرقية عاصمتها "عين صالح" وغربية عاصمتها "أولف" [2]ربطت هذه المنطقة لقرون عديدة بين مقاطعتين تنتميان حالياً لولايتين مختلفتين هما أولف بالنسبة لأدرار، وعين صالح بالنسبة لتمنراست، ولعلّ تميّزها عن المنطقتين الأخريين جعل الاسم المرادف لها هو "بلاد تيدكلت" [3] على غرار "البلاد التواتية"، أما مناطقها فتبدو أقل من مناطق نظيرتيها ومنها:

***منطقة أولف:** تكاد المصادر التاريخية تخلو من ذكر أولف خلافاً لما وجدناه بالنسبة لجهتي تيكورارين وتوات، غير أنّ الأغواطي (ت 1244 هـ / 1828 م) بسط الحديث في رحلته عن موقعها وأهميتها، إذ اعتبرها " البلدة الرئيسة في واحة توات، ولها نفوذ على المنطقة، والسلطان فيها له جنود تضرب بين أيديهم الطبول، وله سلطة توقيع العقوبة والسجن، وهو يمتلك الخيول والرجال، ولكن ليس له خزانة دراهم " [4]. وتلك إشارة ضمنية إلى نوعٍ من الاستقلال الإداري

1_ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي ، المصدر السابق، ص: 82.

2_ ثياقة الصديق: النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظيفته الاجتماعية مقاربة أنثروبولوجية لقصر "تمنطيط" ادرار، رسالة ماجستير في علم الاجتماع (أنثروبولوجيا)، 2006م، جامعة وهران، ص:109.

3_ عبد الرحمن بن عمر التتلاني: رحلة حجية لعام 1188 هـ، مخطوط بخزانة قصر باعبد الله، تيمي، أدرار، ص: 03.

4_ الأغواطي الحاج ابن الدين: رحلة الأغواطي، ترجمة: أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط 02، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1990م، ص:257.

والسياسي من جهة، مقابل تبعية جغرافية إقليمية للواحات التواتية من جهة أخرى. وأمّا بخصوص تفاصيل بنائها وأسوارها ومميّزات سكانها فيقول الأغواطي "وبلدة أولف محاطة بأسوار مبنية بالطين وفيها الماء الوافر والتمر، وللسكان عدد كبير من العبيد " [1].

وبالنسبة لتاريخها واختطاطها فإنّ الآراء تتضارب حول أسبقيتها لمدينة أقبلي تأسيساً، في حين يرجع تاريخها بناء على ما حملته جدران أحد مساجدها العتيقة إلى سنة 164 هـ / 781 م، ومن قصورها: زاوية حينون. قصبة بلال. عمنات. قصبة ميخاف. الركينة. الجديد. تقراف. قصبة حبادات.

***منطقة تمقطن:** وهي أكبر المناطق قصوراً وسكانا، كانت خلال القرن 12 هـ المدخل الحتمي لبلاد تيدكلت، يعبر منه التجّار والزوّار والطلبة والحجّاج. تحوي قصوراً أهمها معاينةً: أولف الكبير. أخنوس. أولاد الحاج. زاوية مولاي هيبة. قصبة السيد. إينر. تمقطن. قصبة الجنات أولاد مولاي رشيد. المرقب. الميمون (قوقو حالياً). عين بلبال. مطريون. منطقة تيط: وهي منطقة صغيرة تذكر أيضاً باسم طيت، وهو جذر لكلمة تمنطيت المركبة، ومعناه العين. غير أن قصورها قليلة تزاحم رمال الصحراء ومنها: قرية تيط. قصبة الشرفاء.

***منطقة أقبلي:** أقبلي بلاد شهيرة في تيدكلت، ذاع صيتها كمحطةٍ ومركزِ عبور للحجاج القادمين من بلاد السودان، وسوقٍ تجارية هامة بين تلك البلاد وتوات. وهي عبارة عن قصور متوارية بين العروق، يسكنها كثير من السكان ذوو أنساب مختلفة، فهناك" الكنتاويون العقباويون، وهناك عرب هلاليون،[2] وهناك موالٍ صالحون، وهناك شرفاء برّيشيون علويون.. ". وتتكون أقبلي من القصور التالية: ساهل. أركشاش. المنصور. زاوية أبي نعامة التي اشتقّت اسمها من اسم الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن أبي نعامة، المعروف بشيخ الرّكب النبوي، وهو الذي أحيا سنّة الحج من بلاد توات والتكرور منذ تأسيس تلك الزاوية سنة1137هـ/ 1725م، حيث أصبحت نقطة تجمّع لحجّاج الصقعين ذهابا وعلامة افتراق ووداع بعد أداء المناسك إياباً.

1_ المصدر نفسه، ص: 258.

2_ محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، الجزء الأول والثاني، دار هومة الجزائر، 2005، ص:333.

***منطقة اينغر:** هي الحدّ الفاصل بين تيدكلت الشرقية والغربية، تقع في المنحدر الموالي لهضبة تادمايت، فلا عجب إذاً أن يحمل اسمها معنى الشعبة أو المكان المنخفض[1]. وتنتشر قصورها بين واحات النخيل الباسقة، ويحمل بعضها أسماء تدلّ على جغرافيتها ومنها:
السبخة. أقبور. لكحل. مليانة. الشويطر، بالإضافة إلى قصبات وزوايا اندثر بعضها وأصبح أثراً بعد عين، على غرار قصبة سيدي البكري (ت 1133 هـ / 1721 م) واجهة إينغر من الجهة الجنوبية وهي منطقة كبيرة عرفت بالصلاح والصالحين قديماً، وبالصمود والجهاد حديثاً. وما معركة إينغر الشهيرة سنة 1317 هـ / 1900 م حيث ألحقت القبائل التواتية مجتمِعة بالعدو الفرنسي خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد إلا صورة عاكسة لتلك المدينة العامرة، فحقّ لها الفخر بلقب " مدينة الشهداء."

***منطقة عين صالح:** تعتبر عاصمة تيدكلت الشرقية، وهي مدينة كبيرة يُدرجها بعض المؤرخين خارج الديار التواتية، ومنهم الأغواطي (ت 1244 هـ / 1828 م) حيث قال " وبعد توات تأتي عين صالح في الجنوب، ثم تأتي بلاد السودان في أقصى الجنوب "[2] ، لكن الرأيَ محل الإجماع أنها جزء من الإقليم التواتي. ترتفع عن مستوى سطح البحر بسبب وقوعها بمحاذاة هضبة تادمايت. كانت خلال القرن 12هـ محطة رئيسة لقوافل الحجّاج المنطلقين من زاوية أبي نعامة صوبها عبر طريق الغابة، تشتهر بوفرة النخيل والمياه الباطنية الهائلة المتفجّرة في عيونها وآبارها، ولعلّ "عين صالح" إحدى تلك العيون.
أمّا قصور عين صالح فعديدة، تتخللها واحات النخيل منها:
قصر لعرب. أولاد الحاج. الدغامشة. البركة. حاسي لحجار. الساهلة. إيكسطن. فقارة لعرب . الزاوية. فقارة الزوى، وهو آخر القصور التواتية من جهة منطقة تيدكلت [3].

المبحث الثاني: تسمية الاقليم.

1_ المرجع نفسه، ص: 18.
2- الحاج ابن الدين الأغواطي : المصدر السابق، ص : 258.
3- عبد الرحمن بن عمر التنلاني: المصدر السابق، ص: 03.

اختلفت الروايات حول تسمية هذه المنطقة الممتدة من تسابيت شمالا إلى رقان جنوبا والتي تضم كل نطاق وادي مسعود بمسافة بلغت 60 كلم عرضا و220كلم طولا.[1]

ترجع بعض التسميات إلى روايات لمؤرخين محليين وأخرى لمؤرخين آخرين خارج الإقليم من بين هذه الروايات رواية عبد الله الأنصاري التي يربطها بإحدى القبائل الصحراوية» ...والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب ...ومنهم لمتونة وتوات ...» [2] وأخرى للمؤرخ السوداني السعدي الذي ربطها بمرض سلطان مالي كنكان موسى[3] حيث أصيب بمرض في رجله أثناء مروره بالمنطقة وهو في طريقه إلى البقاع المقدسة فبقي اسم المرض يميز المكان[4].

أما مارتان (MARTIN) الذي اهتم بتاريخ المنطقة في دراساته فقد أشار إلى أن الفرنسيين يستعملون كلمة (oasis) أي واحات، تعبيرا عن المناطق العامرة وان الكلمة المركبة أصلها إغريقي مقطعها الأول (oa)يتطابق مع المصطلح البربري (Oua)بصيغة الجمع مفرده توات (Touat) بمعنى واحة الماء وهو المصطلح الذي ذكرته أيضا دراسة فرنسية، حيث ذكرت أن (Oua) (وا) (Ouah) يعني مكان الاستراحة. وأشار آخر إلى أنها مشتقة من (Ouat) والجمع (Ouatin) والتي تعني كلمة متعب مستلهما هذه الفرضية من رواية مارتان بالنسبة للأولى وواتان (WATIN) بالنسبة إلى الثانية. ورجح رأي مارتان لأنه حسبه أكثر دقة لان دراسة واتان أعادت أصل الكلمة زمنيا إلى القرن الثالث للهجرة وهو لا يتطابق مع تاريخ المنطقة التي كانت موجودة قبل التاريخ، وربطها آخر بقبائل التوارق الذين منحوها هذا الاسم[5].

الروايات المحلية بدورها اختلفت فمحمد بن مبارك ارجع أصل تسميتها إلى كلمة أعجمية أطلقتها قبائل لمتونة على هذا الإقليم عند لجوئها إليه في منتصف القرن السادس الهجري[6] أما محمد بن عمر المبروك فلقد ذكر أن سبب تسميتها بهذا الاسم وهو الغرض الذي دفعه

1 – فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص: 2.

2 – عبد الله الأنصاري: فهرس الرصاع نقلا عن فرج محمود فرج، ص: 2.

3 – كنكان موسى(1307–1332م) سلطان مالي بلغت في عهده اوج قوتها حل بتوات بوفد كبير فيه العبيد والذهب.

4 – عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م، ص: 21.

5 – حسب رواية ماندوفيل (Mandeville) الذي رأى أن التوارق أطلقوها على مجموعة من الواحات بوادي الساورة ووادي مسعود.

6 – فرج محمود فرج: المرجع نفسه، ص:2

لتأليف مخطوطه حولها فيذكر فتح القائد عقبة بن نافع لبلاد المغرب ووصوله إلى ساحله ثم عودته التي سلك فيها طريق سجلماسة[1] ودرعة أين وصلت خيله توات "..وذلك في سنة اثنتين وستين للهجرة النبوية فسألهم عن هذه البلاد يعني عن توات وعن ما يسمع ...ويفشى عنها من الضعف هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب. يعزله بها أو يجليه..."فأجابوه بأنها تواتي فتغير اللفظ على لسان العامة بضرب التخفيف وأصبح يعرف باسم توات[2].

تعريف اخر ربطها بالإتاوات والمغارم التي فرضها الموحدون على أهل المنطقة في سنة 518هـ/1124م حيث بعثوا عاملهم المسعود بن ناصر ليقبضها فذكروا له عدم وجود الذهب والفضة بأرضهم وطلبوا منه تعويض قيمتها بالرطب والعنب وسائر ثمار الكروم التي تم أخذها وبيعها قرب تلمسان، فعظمت مصلحة الطرفين ليعود في العام الموالي ليقبض مثلها فعرف بها أهل هذا القطر أي أهل الإتاوات بعد حذف المضاف الذي أقيم المضاف إليه في مقامه فأصبحت تنعت بتوات. وهو الاسم الذي سرى تداوله في كامل أرجاء هذا القطر الصحراوي. وقيل أيضا أن زناتة عندما نزلت بهذه المنطقة رأت أنها تواتي للسكن[3] وتلائم للإقامة بها وهي نفس الرواية التي وردت في كتاب نسيم النفحات الذي ذكر فيه مسالة المقام ودفع الإتاوات وحدد أنها سميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة أي تليق بها، فكل من قدم إليها من الأولياء منقطعا للعبادة وجد فيها ضالته لأنها تواتيه للعبادة[4] والتقرب إلى الله.

ذكر بدوره نذير معروف أن هذه التسمية قد ترتبط باللفظ البربري المعرب "تيط" (Tit) الذي يعني العين مثلما هو الأمر مع تسمية تيطوان (Titwan) والأمثلة كثيرة في الشعر الأندلسي الذي عرب هذه الكلمة التي تعني العين السوداء (kahlat –Tit). لتشير أخر وأحدث الروايات وصاحبها الأستاذ احمد بوساحة حيث يرى أن كلمة توات تطلق على الأماكن المنخفضة في

1 – سجلماسة: إقليم يمتد على طول وادي زيز ابتداء من الحنك من المضيق القريب من مدينة فاسلون وأسسها بني مدرار الخوارج في أواسط القرن الثاني للهجرة (منتصف القرن الثامن الميلادي) ويسكنها قبائل بربرية زناتية وصنهاجية وهوارية وهي مركز تجاري مهم.

2 – محمد بن عمر المبروك: نقل الرواة في من أبدع في قصور توات، خزانة كوسام، الورقة 4.

3 – محمد بن عبد الكريم البكراوي: درة الأقلام، المكتبة الشعبية بتمنطيط، الورقة 3.

4– مولاي احمد الطاهري الإدريسي: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، خزانة كوسام، توات، خزانة 26.

اللهجات البربرية ويورد مثالا عن ارتباط هذا الاسم بجسم الإنسان بمنطقة تقع تحت القفص الصدري تعرف بهذا الاسم وتسمى "توات"[1].

المبحث الثالث: أهمية إقليم توات تاريخيا.

1- توات في المصادر التاريخية:

رأينا سابقاً ذكراً لإقليم توات في عديدِ المصادر والمخطوطات، سواء بطريقة مباشِرة مستهدِفة، أو غير مباشِرة ضمن إطار جغرافي عام يشمل المنطقة، من قِبل رحّالة ومؤرّخين يمكن اعتبارهم شهوداً على تاريخ التنقّل والتعمير لقرون عديدة عبر الصحراء.

وعلى ذكر الشهود فإنّ أول من قدم لنا بعض المعلومات عن الإقليم هو ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) الذي مرّ به في طريق عودته من رحلته الشهيرة إلى بلاد السودان[2]، إذ استعدّ ومن معه لِعبور صحراء شاسعة لا عمارة فيها ولا ماء، بالتزوّد والإعداد، واضعين الوصول إلى توات هدفاً يرجون تحقيقه، يقول ابن بطوطة " ورفعت زاد سبعين ليلة، إذ لا يوجد الطعام بين تكدا وتوات "[3]. وبعد عبور أرض الهقار نحو الشمال وصلت القافلة إلى بودة، وهي من أرض توات، وكانت إذْ ذاك باباً من أبواب المغرب يُعتبر الوصول إليها علامةً على سلامة القافلة، وإيذاناً بِولوج تراب المغرب الأقصى، ممثلاً في أولى حواضره مدينة سجلماسة، ويؤكّد ذلك ابن بطوطة في متمّ حديثه إذْ يقول ".. ثم وصلنا بودا وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ، وتمرها كثير وليس بطيب، لكن أهلها يفضّلونه على تمر سجلماسة، ولا زرعها ولا سمن ولا زيت، وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب ... وأكل أهلها التمر والجراد، وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزنون التمر ويقتاتون به"، والظاهر أن ابن بطوطة لم يعبُر الإقليم في فصل الخريف، حيث جنيُ المحاصيل الجديدة الطازجة من التمر، بل زارها حين كان الوقت شتاءً والبرد قارساً[4]، وإلاّ كيف نفسّر رأي العياشي (ت 1090 هـ /1679 م) في تنوّع مذاقِ ذلك التمر وقيمته وهو القائل " ... واشترينا ما يُحتاج إليه من التمر، وبها من التمر

1- الصديق حاج احمد: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11-14 هـ/17-20م دار الثقافة لولاية ادرار، الطبعة الأولى، 2003، ص:29.

2-تفاصيل الرحلة ذهاباً وإياباً تحليلاً ونقداً ومميزات بلاد السودان يُنظر : حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، ص-ص : 224- 236.

3- محمد بن عبد الله ابن بطوطة: المصدر السابق، ج 04، ص: 277.

4- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 236.

أنواع كثيرة، ووجدنا التمر فيها رخيصاً ". أمّا الجراد فلا تخفى حملاتُه المتتالية على توات في موجات وأسراب كبيرة، وقضاؤه على الأخضر واليابس، وانتشار القحط والمجاعات بسببه، ممّا يفسّر كثرته ومن ثَمّ اتّخاذه غذاء جاهزاً بديلاً عن المحاصيل التي تمّ إتلافها. [1]

أمّا المصدر الثاني الهام، الذي أشار إلى هذا الحيز الجغرافي العامِر بصفة أكثر تفصيلاً، هو ابن خلدون (ت808هـ/1406م)، حيث أورد الأهمية التاريخية لإقليم توات في مظهرين، أحدهما محلّي يتمثل في العمران الذي يعتبره ابن خلدون أساس الحضارة، والثاني إقليمي يتجلّى في كونه همزة وصل بين المغرب والسودان، يبرز ذلك في قوله: " ... يسمّى وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب، وآخرها من جانب المشرق يسمى تمطيت، وهو بلد مستبحر في العمران، وهو محطّ ركاب التجّار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد."

وعلى غرار تمنطيت وبودة فقد استهوت مثيلاتها من قصور تكرارين ابنَ خلدون المولع بالعمارة والعمران، فأفرَدَ لها مقطعاً جاء فيه: " ... قصور تكرارين وهي كثيرة تقارب المائة، في بسيط واد منحدر من المغرب إلى المشرق، واستبحرت في العمران وغصّت بالساكن".[2]

ونجد الحسن الوزان (ت957هـ/1550م) يشاطر ابن خلدون رأيَه في عمارة تكرارين وتعدّد قصورها، حيث وصفها بأنها: " منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، تحوي خمسين قصراً وأزيد من مائة قرية منتشرة بين حدائق النخيل ". كما أشار إلى منطقة أخرى ذات موقع استراتيجي بين حاضرتي فاس وتلمسان من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى، لا تقلّ في عمارتها وأهميتها عن تكرارين مشتمَلة في قوله:" تْسَبِتْ إقليم مأهول في صحراء نوميديا، على بُعد نحو مائتين وخمسين ميلاً شرق سجلماسة، ومائة ميل من الأطلس، يضمّ أربعة قصور وقرى عديدة في تخوم ليبيا، على الطريق المؤدية من فاس وتلمسان إلى مملكة أدس في بلاد السودان، سكانه فقراء جدا، لا تنبت أرضهم غير التمر وقليل من الشعير، بشرتهم سوداء، إلا أن نساءهم سمراوات جميلات[3].

1- أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج 01، ص: 79.

2- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص-ص: 76-77.

3- الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ج 02، ص: 133.

ولعلّ الحسن الوزان في وصفه للنساء التسابيات قد أصاب، أمّا نعتُه السكّانَ بالفقر الشديد فالظاهر أنه قد جانبَ الصواب، إذْ لا يُعقل أن توسمَ بلاد بالفقر الشديد وهي معبر هام، لا يخلو من الزوّار وركب الحجيج، ورجالها يتعاطَون التجارة في بلاد السودان.

كما أنّ للعياشي (ت 1090 هـ / 1679 م) رأياً آخرَ مخالفاً لوصف الوزان، حيث اعتبر ساكِنة تسابيت من العوام أهلَ تجارة، يعيشون مما يكتسبونه من بيع التمر ذي الأنواع الكثيرة، ويوجد عندهم من البضائع والسلع التي تُجلب من أطراف السودان شيءٌ كثير[1]وقد مكَثَ العياشي بِقُرَى تسابيت التي اعتبرها أول عمالة توات ستة أيام كاملة أثناء رحلته للحج

ممّا مكّنه من التعرف على أهلها وإدراك بعض طبائعهم. وهو مصدر هام أشار إلى المنطقة قائلا: " ودخلنا إلى أول عمالة توات وهي قرى تسابت، وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح المتبرك به حيّاً وميتاً سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس[2]، ... وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من إبلنا، واشترينا ما يُحتاج إليه من التمر، وبها من التمر أنواع كثيرة، ووجدنا التمر فيها رخيصا."

فالطابع الغالب على هذه البلاد في نظر العياشي هو التجارة، لأنها مَجمَعُ القوافل الآتية والعابرة إلى مختلف الأصقاع، وهي سوق رائدة في صرف الذهب والعملات. ذلك ما يؤكّده قوله:" وعدد المثقال عندهم أربع وعشرون موزونة ويقولون للمثقال الأربعينية مثقال شريفي.. وسبب إقامتنا في هذه البلاد في هذه المدة أن كثيراً من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخّروا الصرف إلى توات، فإن الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر[3]."

وهذا القشتالي (ت 1031 هـ / 1622 م) يؤكّد ويثبت تلك الأهمية والشهرة اللتين حظي بهما الإقليم التواتي وميزاته السكنية والسكانية، حين وصفه قائلا: " هذا الإقليم المفرّع إلى قطر توات وهو أوسع وطنا وأفسح مجالا وأقرب للسودان اتصالا وجوارا وإلى قطر تيكورارين، وهو أعظم اشتهارا وأعرف نقيبا وأشدّ شوكة وأخشن جانبا، وأعظم أقاليم المغرب وأكثرها أمما وأفسحها

1-أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج 01، ص: 80.

2- عريان الرأس: هو الفقيه محمد بن صالح بن محمد بن علي بن موسى، الولي المكاشِف صاحب الكرامات، من عباد الله الصالحين، توفي في العام 1027 هـ / 1618 م.

3-أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج01، ص: 79.

خطة، انتظم عمرانه واتصلت قصوره وتراصفت نخيله على مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر ... "[1].

2- الأهمية التجارية للمقاطعات التواتية:

ارتبط اسم توات بالممارسات والمعاملات التجارية منذ القِدم، تلك المعاملات ازداد نشاطها وأهميتها منذ القرن الثامن الهجري، بعد أن أصبح الإقليم التواتي الممر المفضّل لقوافل التجّار المتجهين من شمال بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي، مثلما يشير الى ذلك ابن خلدون (ت808هـ/1406م) في معرض حديثه عن قصر تمنطيط قائلا: ".. وهو محطّ ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ". وتكمن أهمية تلك المحطة التجارية في كونها تتوفر على المصادر المائية والكلأ للدواب وكذا المؤن والزاد للرحالة إضافة إلى موقعها المتوسط في الصحراء، وقد تجاوزت الأقاليم التواتية دور المعابر والممرات إلى دورٍ أهمّ، حيث أصبحت منطلقاً للقوافل التجارية المحلية، التي يديرها أصحابها بأنفسهم أو يختارون من يسيّرها نيابة عنهم في رحلة الشتاء إلى بلاد السودان [2] كما أن العديد من الطرق والمسالك أصبحت تشكل روافد تصبّ في هذه الطريق العمودية التي مبدؤها بلاد المغرب شمالاً ومنتهاها بلاد السودان جنوباً، ومن تلك المسالك والمحاور ما يلي:

أ- محور طرابلس جنوب تونس تيدكلت توات السودان الغربي، ومَكْمَنُ الأهمية في هذا المحور هو كونه منفتحاً عبر طرابلس على تجارة البحر الأبيض المتوسط، متصلاً بالمدن الإيطالية ذات الصيت الذائع في المبادلات التجارية، ومنها مدينة جنوة مسقط رأس التاجر والمستكشِف الإيطالي أنطونيو مالفانتي الذي عَبَرَ تلك الطريق حتى وصل توات سنة851هـ/1447م، وجمع معلومات على قدرٍ كبير من الأهمية عن الأقاليم التواتية وبلاد السودان جنوب الصحراء الكبرى.[3]

1- أبو فارس عبد العزيز القشتالي: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق: عبد الكريم كريم، الرباط، مطبوعات وزارة لأوقاف، ص: 73.

2-عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون : المصدر السابق، ج 07، ص: 77.

3-عبد الكريم الطموز: فهرس شيوخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني (ت 1152 هـ)، تحقيق ودراسة، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: أ د بوبة مجاني، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2009- 2010م، ص:11.

ب- محور مراكش توات، مروراً بمدن تافيلالت وسجلماسة في المغرب الأقصى، حيث كان التجّار التواتيون يفِدون عليها محمّلين بالسلع التي جلبوها من بلاد السودان، والمتمثلة أساساً في الذهب الخام وريش النعام والعاج والأقطان والعبيد، لأجل مبادلتها بالخيل والأسلحة والفواكه المجففة والملابس المطرزة كلّها تُحمل إلى أسواق توات. [1]

ج- محور تكدا هقار توات، وهو خط الرجوع بالنسبة للتجار التواتيين الآيبين من بلاد السودان، بعد أن اشتروا من مدنها مثل: تمبكتو وغاو وتكدا وكاهر أهمّ مقصدهم، وهي الأغنام واللحوم المجففة، وذلك ما ذكره ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) أثناء مرورهم بهذه الطريق ".يشتري بها الناس من برابرها الغنم ويقدّدون لحمها، ويحمله أهل توات إلى بلادهم"، ومن هذه الطريق يمكن للمرء أن يتجه شرقاً نحو الأراضي الليبية، أو غرباً نحو البلاد المغربية عبر توات، كما تعبر من تلك الطريق أيضا قوافلُ الحجاج الآتية من بلاد التكرور، والتي طالما تقدّم ركبَها علماءُ من توات منهم الحاج أحمد بن الحاج الأمين الملقب بالتواتي الغلاوي (ت1157هـ/1744م)، حتى تصل إلى مقاطعة آقبلي فيكون الأمر لأبي نعامة،[2] وقبل انطلاق القوافل من وإلى بلاد السودان، وقطع القِفار والبوادي الموحِشة، لا بدّ من استئجار أدلاّء من الطوارق، قد خَبَروا مسالك الصحراء الواسعة وسَبَروا أغوارها ، حتى لا تضلّ القافلة سبيلَها وتتعرض للهلاك، وقد أشار ابنُ خلدون إلى ذلك أثناء حديثه عن القوافل التجارية بين توات والسودان قائلاً: " ... وبينه وبين ثغر بلاد مالي المفازة المجهلة لا يهتدي فيها للسبل، ولا يمرّ الوارد إلا بالدليل الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفر، يستأجره التجّار على الدربة بهم فيها بأوفر الشروط" .[3]

1- فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالث في التاريخ، إشراف: أد. أبو القاسم سعد الله، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1977 م، ص: 70.

2- ابن بطوطة محمد بن عبد الله: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق :عبد الهادي التازي، ج04، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1997، ص: 277.

3-عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص: 77.

د- محور شمالي شرقي من بلاد الزاب [1] نحو توات، وينتهي بمعبرين أحدهما يتجه شرقاً حتى يصل إلى تيدكلت الشرقية، والآخر يتجه غرباً حتى يصل إلى تيكورارين، وتنتشر بهذين المسلكين العديد من الآبار والمنابع المائية مثل: حاسي البرانية وحاسي الشبانة وحاسي سيد الجيلالي وعين قطارة وفقارة الزوا أولى

القصور التيدكلتية بالنسبة للمعبر الشرقي، وحاسي النهل وحاسي اللفعاية وحاسي التارقي وحاسي بدمام، بالنسبة للمعبر الغربي.

وهكذا أصبحت توات ميناء صحراوياً تجارياً هاماً يُضاهي مدن المغربين الأقصى والأدنى، حيث" كانت الموانئ الصحراوية المغربية في وادي درعة والسوس وتافلالت تعجّ بالنشاط، ولكن هذه المناطق تعرضت لأضرار اقتصادية جسيمة إثر تحول التجارة الإفريقية نحو توات في المغرب الأوسط وتونس[2]."

1- بلاد الزّاب: إقليم كبير في وسط نوميديا (المغرب الأوسط)، يمتد من بلاد الجريد في تونس إلى تخوم المسيلة غرباً، ومن جبال مملكة بجاية شمالاً إلى الطريق المؤدية من تقرت إلى ورقلة جنوباً، يحوي عدداً لا يُحصى من حدائق النخيل، أشهر مدنه: بسكرة البُرج طولقة دوسّن. يُنظر: الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج 02، ص: 138.

2-محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث، دمشق: الجمعية التعاونية للطباعة، ص: 32.

الفصل الثاني:

العمارة الدينية في إقليم توات

الفصل الثاني: العمارة الدينية في إقليم توات.

المبحث الأول: الزوايا والأضرحة:

1-الزوايا:

ارتبط تاريخ توات الثقافي والعلمي والفكري بنشوء مراكز إشعاعية ثقافية، وكان لاستثمارها دور هام في نشر الحركة العلمية وقبلها الدينية، وهذا ما يجعلنا نتعرض لدراسة هذه المؤسسة انطلاقا من تركيبتها المتميزة، وكيانها المنظم وهو ما سيأتي مفصلا في هذا المبحث.

أ- تعريف الزوايا: عرّفت الزوايا على أنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها المريدون لتلقي الأوراد والذكر، وتتخذ فيها مأوى لطلبة القرآن والعلم والزوار الذين يقصدونها للاستفتاء والصلح بين المتخاصمين، وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر الهجري، كما لها شأن عظيم ووجودا اجتماعيا قويا.

تعرف الزاوية عند أهل توات على أنها مسجد خاص بطائفة دينية من الصوفية أو ضريح لأحد الأولياء الصالحين، تتصل به غالبا مقبرة يدفن فيها بعض من لهم علاقة بالطريقة أو أقارب الولي الصالح، [1]وفي تعريف آخر للتواتيين، يقصد بها تلك الصدقات الجارية التي يجسدها شخص ما في حياته، وتبقى قائمة بعد وفاته من خلال نص موثق تحدد فيه طبيعتها، وقيمتها لينتفع بها عامة الناس، ويشرف عليها صاحبها أثناء حياته وبعد موته، يتعاقب عليها ورثته أو المقدمين للطريقة أو للزاوية.

وكانت الزاوية في توات عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة، موزعة في جهات مختلفة عن المدن والقرى والقصور التواتية في شكل دور (مسجد صغير)، يقيم فيه المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، وما يتعلق بها من علوم عقلية ومنطقية ولغوية.

ب- نشأتها وانتشارها بإقليم توات:

أما بتوات فقد نشأت الزوايا على يد رجال عرفوا بالعلم والتقوى والصلاح، والدارس لتاريخها في المنطقة ونشاطها بالإقليم يجده عريق عراقة الإقليم نفسه.

1- محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص:02.

فتاريخ الزوايا يرجع إلى تاريخ نشأة المنطقة التواتية بمناطقها الثلاث (تيدكلت–توات– قورارة)، والباحث عن تاريخ نشأة الزوايا سيجد أول نشأتها في تاريخ نشأة توات[1] فتوات هي الزاوية والزاوية هي توات، والأدلة على ذلك كثيرة ويتجلى في أن اسم الزاوية قد أطلق على الكثير من قرى البلديات، وهذا أكبر دليل على العناية التي كان يوليها سلفنا الصالح لهذه المؤسسة، ومثال ذلك:

_ زاوية حينون ببلدية أولف التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى دخول الإسلام للمنطقة وقد أسس مسجدها في القرن الثاني للهجرة سنة 164هجرية.

_ زاوية الشيخ مولاي عبد الله الرقاني ببلدية رقان.

_ زاوية كنتة التي أسسها السيد محمد الكنتي في بلدية زاوية كنتة.

_ زاوية الدباغ بدائرة تيميمون.

وغيرها من الزوايا مع أن الزوايا في غير هذه القرى موجودة منها زوايا العلم والقرآن، وزوايا الإطعام والإصلاح.[2]

ج–أنواع الزوايا ومميزاتها:

دأب الباحثون في موضوع الزوايا وتحدثهم عن أنواعها على إبراز مختلف الصور التي تعرفها فيستفيضون في حقيقتها، وينعتون بعضها "بالخلوتية" والبعض الآخر بغير ذلك، وعلى غرار هذا المنطلق نستطيع القول إن الزوايا بمنطقة توات تنقسم إلى قسمين زوايا حسب النشأة، وزوايا حسب الوظيفة.

* **زوايا حسب النشأة:** تنقسم الزوايا حسب النشأة إلى فرعين هما:

الفرع الأول: زوايا تم بناؤها على ارض اشتريت من طرف مؤسس الزاوية خارج القصر أو القرية، كما هو الحال بزاوية سيدي البكري التي بنيت قرب مدينة تمنطيط.[3]

---

1 – محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص: 04.

2– المرجع نفسه: ص–ص:319–320.

3–عبد الغني العزواي، عبد الحليم بولغيتي: التربية النظامية والغير نظامية، مقارنة بين ثانوية وزاوية، مذكرة ليسانس تخصص علوم التربية، بإشراف بوفلجة غيات، كلية علم النفس جامعة السانية، وهران، 2005/2004م، ص: 49.

الفرع الثاني: هي زوايا تبقى داخل القصر، حيث تكون أملاكها داخله، مثل زاوية "زاجلو" شمال زاوية كنتة، التي أسسها حسب المصادر الشيخ سيدي البكري الذي درس بأوقروت على يد الشيخ سيدي علي النحوي الأوقروتي، وأسس زاويته المشهورة بزاجلو، توفي سنة1118هـ.[1]

***زوايا حسب الوظيفة:** وتقسم كذلك الزوايا حسب الوظيفة إلى ثلاثة فروع وهي:

الفرع الأول: وتتمثل في زوايا العلم ووظيفتها تعليم القرآن الكريم للأطفال بمختلف الأعمار وتكون عادة بقرب المسجد، وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية في سائر القصور التواتية، ويطلق عليها أسماء مختلف كـ "الجامع" بتوات، و"الأقربيش" بتيديكلت و"المحضرة" بتينجورارين، وقد لعبت هذه الزوايا دورا بارزا في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية واللغوية.[2]

الفرع الثاني: وتتمثل في زوايا التربية وهي مجموعة من الزوايا التي أسسها رجال التصوف مع بداية القرن الثامن الهجري كأماكن للعبادة والتربية والتعليم، باعتبار أن التصوف علم الباطن دون إغفال الجانب الظاهري في الشريعة.

الفرع الثالث: وتتمثل في زوايا الإطعام والإيواء بحيث تقوم بهذه الوظيفة الزوايا بجميع أنواعها فتستقبل الضيوف والزوار وتوفر لهم الأكل والإيواء طيلة إقامتهم، وشعارها في ذلك قول الله تعالى: "إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُوراً"[3]

وهذه الوظيفة عظيمة الشأن بالنسبة للزوايا المشهورة لما ينتج عن ذلك من نفقات يومية.[4]

د- الهياكل المادية للزاوية:

نتطرق إلى سرد الهياكل المادية التي تطبعها، والجدير بالذكر في هذا المجال أن الزاوية بشكلها العام تمثل جزء من تصميم القرية التي تؤويها، فهي عادة تنشأ على مشارفها والقصد من ذلك توفير ما أمكن من الجو المناسب لطلبة العلم بإبعادهم عن ضوضاء القرية أو المدينة، غير انه ونتيجة تطور العمران الذي تشهده مدننا وقرانا أصبحت بعض الزوايا اليوم وكأنها بنيت داخل القرية أو المدينة فأحاطت بها جميع مرافقها الأساسية.

1-الحاج احمد الصديق: المرجع السابق، ص:126.

2 – محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج2، ص: 216.

3 – سورة الإنسان، الاية09..

4 – أحميدة بن زيطة: الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرة الثقافة لولاية ادرار، أيام:1، 2، 3ماي 2000م، ص:17.

وبالرغم من ذلك فإنها ما زالت محافظة على دورها وفق ما تؤديه هياكلها المادية المتمثلة على الخصوص في:

* **مسكن الشيخ:** وهو يسبق كل هيكل يميز الزاوية، ذلك أنه يتوجب عليه الاستقرار للتفرغ للدور الذي ألزم نفسه به، ولا يتأتى له ذلك إلا بإنشاء منزل خاص يعد النواة الأولى للمرافق الأخرى التي ستعرف الوجود بتطور المؤسسات البشرية للزاوية.

* **المسجد:** دور المسجد هام جدا، فهو في بداية إنشاء الزاوية مسجد يحتضن جميع الطلبة، ويظل كذلك إلى أن تتوسع مرافق الزاوية، فيقتصر دوره حينئذ على أداء الصلوات المفروضة وإقامة الشعائر الدينية التي تتطلب حضور جمع كبير من الناس ثم تنتقل المهام التي كانت تؤدي فيه في البداية إلى المرافق الجديدة للزاوية كالتدريس مثلا.[1]

* **حجرات الدراسة:** تضم زوايا مناطق توات عددا من الحجرات الخاصة بالدراسة والتي يزيد عددها بازدياد عدد المتعلمين بها، ووظيفة هذه الحجرات هي احتضان أفواج التلاميذ الذين يتوزعون عليها حسب مستوياتهم، ويتكفل بهم مدرسون يشرفون على تعليمهم الأول، سواء في حفظ القرآن أو استظهار المتون المتعلقة باللغة والفقه، ويتولى شيخ الزاوية تحديد المكان الذي يلقي فيه دروسه ومحاضراته بين هذه الحجرات.

* **المرافق الداخلية:** تسعى كل زاوية إلى تخصيص مرافق للداخلية التي يأوي إليها التلاميذ في الساعات القليلة من الراحة.

وتضم هذه المرافق على وجه الخصوص بيوتا للنوم، يختلف عددها وحجمها وطريقة هندستها من زاوية إلى أخرى، غير أن ما يميز جميعها هو توفرها على التهوية الضرورية خاصة وأن فصل الصيف هو الفصل الغالب في المنطقة.

* **المكتبات:** توجد بعض الزوايا التي تمتلك مكتبات غنية بأمهات الكتب تتضمن المؤلفات المخطوطة والمطبوعة، ويتجلى ذلك أكثر في الزوايا التي ورثت هذه الخزانات من شيوخها الأقدمين، أو الزوايا التي لها موارد متعددة تسمح لها باقتناء الكتب عن طريق الشراء، غير أن الملاحظ على منهجية بعض الزوايا في هذا المجال أنها لا تفتح المكتبات، وخاصة خزانة

1- محمد السالم نواري: المدارس القرآنية وآثارها في التعليم المدرسي بمنطقة توات خلال القرن 14هـ، مدرسة الشيخ محمد بلكبير نموذجا، مذكرة ليسانس، قسم اللغة العربية وآدابها بإشراف الأستاذ احمد الأمين كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2004/2003م، ص:67.

المخطوطات إلا لأشخاص معينين من هيئة التدريس أو الطلبة الكبار الذين تتسم منهم الاستفادة الفعلية من هذه المؤلفات.[1]

* **الكتاتيب القرآنية:** توجد بعض الزوايا التي تشرف على كتاتيب قرآنية تعلم الصغار القرآن الكريم والمبادئ الأولية للغة والفقه، وخاصة الحروف الأبجدية إشرافا روحيا فقط لأن هذه الكتاتيب التي تسمى بالمنطقة "بالمحضرة" أو أقربيش" تعد المرحلة الأولى من مراحل التعليم، ولا يخلو حي أو قصر من مثل هذه الكتاتيب، فهي التي تزود الزوايا بطلبة العلم بعد أن يصلوا إلى مرحلة معينة من النضج ويتحصلوا على قسط مقبول من العلم في مجال حفظ القرآن والمتون اللغوية والفقهية المتداولة الدراسة في المنطقة.[2]

* **بيوت الضيافة:** ويتم إنشاؤها بعد تطور الزوايا وانتقالها من مرحلة استقبال الضيوف في بيت الشيخ إلى تخصيص بيت خاص لهم بمرافقه الضرورية، التي توفر لهم كل أسباب الراحة ووسائلها المطلوبة.

* **أملاك الزاوية:** تتوفر لجل زوايا مناطق توات أملاك خاصة بها تتمثل في الأراضي والبساتين والحيوانات ومختلف أنواع العقار، كما تمتلك بعض الزوايا مقادير محددة من مياه الفقارة التابعة للقصر.

* **محل الزاوية:** وظيفته تخزين المؤونة، إضافة إلى الوظائف السابقة.[3]

وهذه هي اللمحة المختصرة التي توضح الصورة الحقيقية للهيكل التنظيمي الخاص بالزوايا.

2-الأضرحة:

تعد الأضرحة من العمائر الجنائزية البارزة التي شاع بناؤها في توات فنادرا ما نجد قصر لا يحتوي على ضريح ولي صالح، وقد شيدت الأضرحة على قبور أولياء الله الصالحين والعلماء والمتصوفة، ويقوم تصميمها العام على قبة مخروطية الشكل وهي السمة البارزة لها. وأما عن أسباب انتشارها، هو الاحترام والتبجيل الذي خصه المجتمع لأولياء الله الصالحين في المنطقة خاصة مع وصول الأولياء، والعلماء والفقهاء، وانتشار حركة التصوف وطرقها.

1- أحميدة بن زيطة: المرجع السابق، ص: 07.

2- أحميدة بن زيطة: المرجع السابق، ص: 09.

3- محمد سالم نواري: المرجع السابق، ص: 72.

وفيما يتعلق بالشكل المعماري العام للأضرحة فتميزت بأشكالها المتنوعة، فنجد خمسة أنواع رئيسية من حيث تخطيطها وشكل قبابها: أضرحة ذات غرفة جنائزية مسقوفة بقبة مخروطية، أضرحة مسقوفة بقبة مخروطية تحيطها رحبة، وأضرحة عليها قبة مخروطية بسيطة، وأضرحة عبارة عن حويطة غير مسقوفة، وأضرحة بسيطة محاطة بجدار قصير مع وجود شكل مخروطي على أحد جوانب القبر[1]. وكان بناء الأضرحة في مواقع مختلفة في القصر، فقد نجدها في وسط النسيج العمراني للقصر أو حوله، وأحيانا بين بساتين النخيل، وملحقة بالمساجد، وغالبا ما نجدها في المقابر القديمة، هذه الأخير أخذت جانب كبير من الأهمية في المجتمع التواتي، لأنها الدار الآخرة، ومن ثم كانت تلك الأضرحة مزارا للسكان في المناسبات الدينية خاصة في موسم الزيارات وهي عبارة عن تجمع احتفالي ديني سنوي يقام في عموم منطقة توات. (الملحق04)

المبحث الثاني: المساجد والمدارس القرآنية.

1_ المساجد:

تعد المساجد من بين المنشآت المعمارية الهامة التي توجد في معظم الزوايا والقصور، بحيث انه لا يمكن تصور بناء القصر بدون مسجد يتخذ مكانا للعبادة والاعتكاف وتحفيظ القرآن الكريم، ومن الأعمال التي اولاها ساكنة توات أهمية كبيرة هي بناء المساجد، والإكثار منها سواء في الزوايا وخارجها وحسن اختيار موقعها المناسب، الذي غالبا ما يتوسط الأبنية حتى يسهل التواصل بين مختلف فضاءات القصر، وعديدة هي المساجد التي أسست بمنطقة توات ونذكر على سبيل المثال المساجد الأثرية بقصر تمنطيط وأقدمها الجامع العتيق بتايلوت ، الذي أسسته قبائل لمتونة أحفاد يوسف بن تاشفين المرابطي،[2]ومسجد القاضي سالم العصموني، الذي يقع في حي تاهقة بقصر تمنطيط، هذا وتزخر قصور كثيرة بمساجد أثرية ذات قيمة معمارية وفنية مثل مسجد زاوية كنتة الخاص بالشيخ أحمد بن علي، الذي بناه الكنتيون وهو عبارة عن بيت للصلاة يحتوي على محراب ومسقوفة بجذوع النخيل ويرتكز على أعمدة طينية دائرية عددها 32 عمودا.(الملحق05)

1 –محمد بن سويسي: العمارة الإسلامية في تمنطيط، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص: 180.

2 – الطيب بن عبد الرحيم: مخطوط البسيط في أخبار تمنطيط، نسخة مصورة، خزانة كوسام للشيخ الطيب، ص: 06.

ظلت المساجد والجوامع منذ فترة طويلة المنشآت الأكثر أهمية في القصور والزوايا، ونتيجة لذلك كثر بناؤها حيث نجد مسجد واحد على الأقل في كل قصر وأحيانا أكثر.

وقد تميزت تلك المساجد التي أنشأها الشيوخ والفقهاء بالبساطة بحيث أن مادة بنائها الأساسي الطين والطوب وجذوع النخيل المتوافقة مع البيئة الطبيعية للمنطقة، ومن أهم مكونات المسجد بيت الصلاة والصحن والمئذنة والسطح وبيت الوضوء، كما أنها اتخذت مواقع مختلفة في القصر أو الزاوية فأحيانا نجدها في المدخل أو في وسط القصر والى جانبه المرافق الأخرى.

2_ المدارس القرآنية:

إن التسمية الأكثر تداولا في المنطقة هي "الجامع" نسبة الى مسجد الجمعة الذي تؤدى فيه الصلوات الخمسة وصلاة الجمعة وفي الأصل مدرسة تحفيظ القرآن تقع فيه أو بجانبه كما تعرف بالكتاب كما أنها سميت بالأقربيش1 وهذه التسمية زناتية الأصل تدل على الحجرة التي توجد بجانب المسجد وهي مخصصة لقراءة القرآن الكريم وتحفيظه، وتدرس فيها مجمل المعارف والعلوم من فقه وأصول الدين والعلوم النقلية الأخرى، وتشترك مع المسجد والزاوية في الوظيفة ولذلك كان هناك تداخل في مفهوم هذه المنشآت الدينية والتعلمية، كما وضح ذلك الأستاذ أبو القاسم سعد الله أنه في كثير من الأحيان كانت بعض المساجد تابعة لزوايا معينة ، وزوايا اتخذت وظيفة المدارس ألحقت بها أماكنت إقامة الطلبة، فكثيرا ما أشارت النصوص الوقفية الى تأسيس زاوية وجامع ومدرسة في نفس الوقت يعني أن التداخل يظهر في الاسم والوظيفة معا[2].

وبالنسبة للتخطيط المعماري للمدرسة، فالمعروف عنها أنها ذات تخطيط بسيط، لا يزيد عن حجرة أو حجرتين متجاورتين، وقد يتطور حسب أهمية الزاوية أو القصر أقيمت فيه، وحسب المكانة التي يحظى بها شيخها، وإمكانياتها والعلوم التي تلقنها، ومن المدارس المشهورة مدرسة سيدي احمد ديدي بقصر تمنطيط، وكان تخطيطها يتألف من قاعتين بها أقواس وبجانبهما حجرة صغيرة مخصصة لجلوس الشيخ تسمى خلوة الشيخ وفيها خزانة الكتب المخطوطة[3].

---

1 – الصديق الحاج أحمد: المرجع السابق، ص: 45.

2 – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500_1830، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998، ص:245.

3–الصديق الحاج أحمد: المرجع السابق، ص: 119.

المبحث الثالث: الخزائن.

إن الناظر في خزانات المخطوطات التواتية، يجد من الوهلة الأولى أن غالب مخطوطاتها في الفقه واللغة، وغير ذلك من العلوم بدرجة أقل، حيث يضم إقليم تيديكلت 11 خزانة مخطوطات، في حين يحتوي إقليم توات الوسطى على 28 خزانة، بينما قورارة 14 خزانة، وكل هاته الخزانات غير مفهرسة ولا تتوفر فيها أدنى شروط حفظ المخطوطات[1].

1-تعريف خزانة المخطوطات:

خزانة المخطوطات هي المكتبة الشعبية التي بها مخطوطات، تكون في أغلب الأحيان تابعة لزوايا العلم والقرآن، حيث أنها تمثل مكتبة الزاوية، وهي مركز غير رسمي حيث تعود ملكية المخطوطات فيه إلى شيخ الزاوية أو إلى مالك الخزانة والذي يرثها عن أجداده حيث تتم قسمة المخطوطات مثل باقي الإرث من المال والمسكن وغيرها، وغالبا يرث المخطوطات الابن الفقيه في العائلة، حيث لا يخلو بيت من المخطوطات في مختلف الفنون المعرفية في إقليم توات بالجنوب الجزائري مثلا[2].

أ_ مكتبة كوسام:

بنيت مكتبة (خزانة المخطوطات) كوسام(الملحق06) القديمة كباقي الخزانات الأخرى من الطين المسقف بجذوع وجريد النخيل ، تبلغ مساحتها حوالي 120م²، وهي تعتبر من بين المكتبات القليلة المفتوحة بالولاية، رفوف الكتب من الطين على شكل خزانات صغيرة في الجدران، المغلقة بأبواب من الخشب والزجاج، وتعاني كباقي الخزانات الأخرى من العوامل الطبيعية الصعبة وتعتبر أحسنهم حالا من حيث الظروف الطبيعية القاسية السابقة الذكر، إلا أن معظم المخطوطات بالخزانة مصابة إن لم تكن كلها فهي في حالة جد خطيرة تحتاج إلى عمليات الصيانة والترميم الاستعجاليتين، حيث أثرت فيها العوامل الطبيعية القاسية كالحرارة والرياح إضافة إلى القوارض والحشرات، وعلى العموم فإن حال خزانة كوسام يعكس الصورة الحقيقية لمخطوطات الخزائن الأخرى، من حيث الحالة المادية والهيكل العام للخزانة، تحتوي المكتبة على عدد هائل من المخطوطات إلا أن العدد المنسوخ والذي يمكن الاطلاع عليه هو

1-بكري عبد الحميد: نبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2006، ص: 46.

2-عبد الكريم عوفي: التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، مجلة أفاق للثقافة والتراث، س5، ع20_21، أفريل 1998، ص: 107.

170 مخطوط في مختلف التخصصات وقد بلغت عدد المخطوطات المعادة للنسخ حوالي 200 مخطوط، تتكون الخزانة من ثلاث غرف ومخزن للحفظ، بالإضافة إلى المرافق الضرورية، وتحتوي المكتبة على بعض التجهيزات البسيطة المتكونة من بعض الأفرشة.

ب-خزانة سيدي أحمد ديدي بتمنطيط:

تقع الخزانة بتمنطيط في الناحية الشرقية من تيمي، بنيت هذه الخزانة على غرار الخزائن الأخرى بالبناء الطيني والذي سقفه من جذوع النخل وكرنافه ليعطي شكلا متجانسا في السقف 26، تتواجد الكمية الكبيرة من مخطوطات الخزانة في خزائن كبيرة جدا لا يمكن للإنسان الحالي أن يحملها وذلك لكبر حجمها وهي في شكل صناديق أرضية من صنع الإنسان القديم، بلغ عدد مخطوطاتها في سنة 809هـ -1455م 3600 مخطوط وذلك في عهد مؤسسها الثاني سيدي الشيخ البكري، أما ما تبقى إلى حد الآن والذي يمكن الوصول إليه 950 مخطوط فقط[1].

1- بطاقة تعريفية للحزانة: متواجدة بالخزانة.

الفصل الثالث:

العمارة المدنية والعسكرية

الفصل الثالث: العمارة المدنية والعسكرية.

المبحث الأول: العمارة المدنية.

1- القصر (القصبة):

استغل التواتيون المحيط في شكل تجمعات تراصفت على طول وادي مسعود في شكل سبحات في الفيافي والقفار، فالشكل العام الذي يأخذه كل تجمع في الصحراء عموما هو القصر "kasr" والذي بالتعريف هو قرية تقليدية صحراوية، هذا التجمع من البنايات السكنية المحمية ذو الحجم المتغير تتطور حوله واحة نخيل يعيش من اجلها وتعيش من اجله.

فالقصر هو قرية محصنة أو بالأحرى مجموعة كتل سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها، يقطنها مجموعة عائلات، كثير ما تنتمي إلى أصول عرقية واحدة وطبقات اجتماعية مشتركة وقد تكون مختلفة. يحيط بهذه التكتلات سور مدعم بأبراج ركنية (في الزوايا)، وتتخلله مزاغل وقد تخلو بعض الأسوار من ذلك، وقد تخلوا القصور من ذلك ليعوض عنه بجدران البيوت الخارجية، لتشكل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكل أرجاءها. قد تنسب القصور عادة الى ولي صالح باعتباره مؤسس أو صاحب الفضل في لم الشمل مثل سيدي عبد القادر وسيدي سليمان بن علي بـ (أولاد أوشن) ادرار، وقد تعود التسمية إلى الاتجاهات مثل قصر قبلي الجنوبي والقصر الزعراني الشمالي أو إلى لون مادة البناء مثل قصر الأحمر بتامست، كما قد ينسب إلى القبيلة أو الجنس المستقر به مثل قصر أولاد يعقوب، أولاد احمد أو أولاد داود بتمنطيط (ادرار)، وقد ينسب الى الطبقة الاجتماعية مثل قصر العرب، وقصر المرابطين، وأحيانا يرفق بكلمة القصر بصفة من الصفات الدالة على موقعه أو قدمه أو حداثته أو كبره مثل القصر التحتاني والقصر الفوقاني والقصر القديم والقصر الجديد والقصر الكبير. وأحيانا يشتاق اسمه من شكله وينسب إلى أشخاص وأشياء أخرى مثل قصر تازولت (تازولت بالعربية معناها الاثمد أو الكحل الخاص بالعينين)[1] قد تحتوي القصور بداخلها على قصبة وقصبتين محصنتين ومسجد جامع عادة ما يطلق عليه بالجامع العتيق، كما يشمل القصر المرافق الضرورية كالرحاب وغيرها[2].

1-محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ص: 23.

2-ثياقة الصديق: المرجع السابق، ص: 76.

وظيفيا يمكن تعريف القصور على أنها تمثل الكتل العمرانية الأكثر تأقلما مع البيئة الصحراوية انطلاقا من مواد البناء واختيار الموضع إلى النمط العمراني المستعمل في الوحدات السكنية[1].

ويرتبط القصر عادة، بالجانب الفلاحي ارتباطا وثيقا وغالبا ما تحيط به البساتين الخضراء (الواحة) باعتبارها مصدر اقتصادي رئيسي للسكان كما أنها تمثل حاجز منيعا للتقليل من حدة العواصف الرملية، بالإضافة إلى تكسير التيارات الهوائية وتارة يكون القصر بأطراف غابات النخيل أو حتى بعيدا عنها وذلك لكون الأراضي الزراعية ذات قيمة عالية، فيفضل استعمالها للزراعة بدلا من السكن.

القصبة: هي تجمع سكني محصن محاط بسور مرتفع ومزود بأبراج مراقبة في الزوايا ويحيط بها خندق. ولعل هذا النمط افترضته عوامل الطبيعة وضرورة الأمن لإحباط محاولات الاختراق ونجد أن القصبة تتبع في تكوينها نظاما محكما من حيث موقع المبنى، قربها وبعدها عن المصادر المائية ووضعها فوق مرتفع صلب، وتأخذ القصبات أشكال فمنها المربعة وهي التي شيدها العرب ومنها ذات الشكل الدائري وهي الأقدم حسب المؤرخين وهي عبارة عن قلاع سكنها اليهود في القديم، في حين تخطيط الأحياء يشعرك بوجود تخطيط فيزيائي وميزة جغرافية طبقا لمكانة السكان.

– **الأبراج:** تتوضع في زوايا القصبة. والبرج عبارة عن مبنى ذو شكل هرمي واسع في القاعدة ويضيق في الأعلى، يحتوي على سلالم بداخله وفتحات لمراقبة العدو، وفي أسفلها مخازن لتخزين المحاصيل الزراعية والأملاك الجماعية، وتكمن الوظيفة الأساسية للأبراج من خلال الشكل المعماري الذي أخذته في مراقبة الغزاة من بعيد والدفاع عن القصر.

– **السور:** وهو الحصن الذي يحيط بالمجمعات السكنية داخل القصبة، يصل ارتفاعه إلى ستة أمتار وقد يزيد عن ذلك أما سمكه فيكون بمترين (2م) في الأسفل ليتناقص كلما علا، فالسور له وظيفة رئيسية تتمثل في الدفاع والحماية كذلك لم شمل العائلات والديار في مجال معين في ذلك الوسط الذي رسمه له الواقع الايكولوجي.

– **الخندق:** يحيط بالقصبة من كل الجهات مما يصعب على العدو إمكانية غزو القصبة يفوق متوسط عمقه المترين. (الملحق07)

الرحبة: هي عبارة عن ساحة عمومية تتموضع وسط القصر وهي بمثابة مركز حيوي ومجال

1– يوجد بالقصور حلول تقنية كالتهوية الطبيعية والإضاءة والتبريد والتدفئة.

عمومي حر، تحيط به البنايات المجاورة غير مغطى وتنظم مجالاته المتعددة بصفتها تؤدي إليها جميع الممرات (أزقة القصر) وهي بمثابة الموزع الحركي والمجالي للقصر. تقام فيها مختلف الحفلات والأعياد القصورية الموسمية، ومرتع للأطفال والشباب ومكان لتلاقيهم اليومي لاسيما في الفترة الليلية، في السابق كانت مكان تجهيز القوافل التجارية المستعدة للرحيل ومحطة نزولها عند مجيئها.

– **الأزقة:** هي عبارة عن ممرات منعرجة ومسقوفة تؤدي إلى مختلف أحياء وفضاءات القصر المختلفة كالمسجد والساحة العمومية. وهي عبارة عن مجالات خطية عمومية تلعب دور المنظم والمؤدي للمساكن وهو نوعان أزقة عمومية نافذة وأزقة نصف عمومية غير نافذة مؤدية إلى الديار المنفتح عليها فقط تتخللها ثقوب لإضاءتها وإرشاد المارة، اتساعه لا يزيد عن متر ونصف مما يسمح بمرور حمارين محملين في آن واحد.

كما ان الزقاق كان يستعمل قديما للنوم والراحة من طرف الرجال أيام الحر الشديد ومن الأعلى يتقاسم سطحه المسكنين المجاورين اللذان يحصران هذا الحيز. هذا بالإضافة إلى الفوائد المناخية لان الأزقة تقلل من المسطحات المعرضة لأشعة الشمس كما أنها توسعة للناس إذا ضاقت عليهم منازلهم وما إلى ذلك من فوائد لصالح العام وللأزقة وظيفة بنائية لأنها تربط المباني ببعضها البعض لتكون كتلة واحدة فيتسند كل مبنى للأخر. هذه الأدوار الوظيفية للأزقة وغيرها لم تأتي من فكر المهندسين وأنظمة المخططين ولكن من تجارب أولئك الذين يعاصرون ويعانون من البيئة ويوجدون الحلول لها فمن تراكم تجاربهم تبلورت الأعراف والتقنيات في بيئة القساوة والجفاف.

وتتوزع القصور في إقليم توات في جهاتها الثلاثة كما يلي:

–قصور تيكورارين:

تنتشر أعداد كبيرة من القصور بين تابلكوزة في الشمال والمطارفة في الجنوب، يمكن ترتيبها في مناطق رئيسية كما يلي:

*منطقة تينركوك: تُجاور العرق الغربي الكبير، قرب واد امقيدن، سكنتها قبائل زناتة في مساكن محصّنة، ثم زحزحتها عن مضربها قبيلة المحارزة، التي استقرّت بالمنطقة بدءاً من القرن الحادي عشر الهجري، لذا تدعى تينركوك أيضا " بلاد محارزة "[1]

1–رشيد بليل: المرجع السابق ص: 38.

ومن أهمّ قصورها: تابلكوزة الذي يمثل آخر قصر في الشمال الشرقي، يرتبط بالمنيعة من خلال طريق غير رئيسية تقطعها الجمال، وزاوية الدباغ التي أسّسها الشيخ محمد الدباغي، الوافد من جنوب المغرب الأقصى حوالي سنة 1028هـ/1619م

إضافة إلى قصور: فاتيس. عين حمو. تعنطاست، وقصر قدور القريب منها[1].

*منطقة أولاد سعيد: تعتبر من أقدم مقاطعات تيكورارين وأكثرها أهمية ، تتكون من مجموعة حصون مسكونة من قِبل جماعات من أصول مختلفة أهمها: أولاد لحسن، أولاد بامحمد، أولاد القاضي، الجازوليون، يتوزّعون على قصور أهمها: حاج غلمان، الشيخ، كالي، إيغزر، آغلاد[2]

* منطقة تيميمون: هي عاصمة تيكورارين وأهمّ مدنها على الإطلاق، اعتبرها عبد الرحمان بن إدريس التنلاني (ت 1233 هـ / 1818 م) قاعدة قرى قورارة[3] والممّر الهام للرحّل نحو الشمال ومنه. وهي " مدينة كبيرة منفتحة على الزوّا، ليس لها أسوا، منازلها متراصّة مبنية بالطين والطوب، ذات أسواق عامرة، أما سكّانها فهم مزيج من أجناس مختلفة، فهناك البشرة البيضاء والحمراء والسوداء"[4] واختلاف الألوان مقترن في تيميمون باختلاف الألسن، فبعض القبائل يتكلم اللسان العربي الدارج، وصنف آخر يتكلم البربري الزناتي، وبها دور من قبائل الشعانبة[5]، وبعض أهلها مشهورون بحفر الآبار في الصحاري والقفار[6] كما تتوزّع على جانبي تيميمون قصور منها: قصر بادريان المرتبط بزاوية آل صوفي. ماسين. باباعده. تيليوين. تاغيارت.

1-المرجع نفسه، ص: 193.

2- يعتبر قصر آغلاد موقع اً أثريا ومعلماً سياحيا، ذا حصون مهدّمة، حيث وقفتُ على قبرين يُشار إليهما بفخر من قِبل الساكنة المحلية، ينسبونهما إلى كل من: السيدة زينب زوجة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ / 1503 م) وهي كريمة شيخه عبد الرحمان الثعالبي (ت 875 هـ / 1471 م) وعلى أحد أبناء الشيخ المغيلي.

3- عبد الرحمان بن إدريس التنلاني: الرحلة من توات إلى الجزائر، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، ص :01.

4- الحاج ابن الدين الأغواطي: رحلة الأغواطي، ترجمة: أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط 02، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1990 م، ج 02، ص: 25.

5- الشعانبة: بطن من قبيلة علاق العربية العدنانية، من عوف، من سُليم بن منصور، كانوا يقيمون بأفريقية الشمالية، توافد قسم منهم من متليلي على توات واستقروا في: تيميمون، زاوية الدباغ، بوعلي، النفيس، أولف، عين صالح ينظر: عمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط 8، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997 م، ج 02، ص 595. أيضاً: محمد حوتيه، المرجع السابق ج 01، ص: 73.

6-مولاي أحمد الطاهري الإدريسي: المصدر السابق، ص:1.

سموتة. أومراد. تين جلات. فرعون أومسعد. تلالت. قصبة الكاف. بني مهلال. زاوية سيدي الحاج بلقاسم. تاورسيت. الواجدة ...الخ.

*منطقة شروين[1]: تقع قصورها غرب سبخة تيميمون، شكّلت حيز استقرار مجموعات مختلفة عبر الأزمنة، ونقطة انطلاق نحو قصور أخرى، أهمها: آت عيسى،[2] آجدير الشرقي (القبلي). آجدير الغربي، تبو، تاسفاوت، تاوريحت، تينكرم، تاجلزي، تاوريرت، لحمر، حيحا، كالي، آجنتور.

*منطقة طلمين: تدعى قصور العرق، وتقع على تخوم تيكورارين الغربية، أهمها:

تاغوزي. الساقية، إضافة إلى تعربين. نعامة. عين جلو وغيرها.

*منطقة أوقروت: ذكر العياشي (ت1090هـ/1679م) أوقروت باسم أوكرت، ووصف كثرة نخلها محدّدا انتماءها قائلا:" وهي قرى كثيرة ذات نخيل جمّ، وهي معدودة من بلاد تجورارين"[3] ومن قصور أوقروت الشهيرة: دلدول. إقسطن. البركة. توكي. تبرغامين. تالة. تنقلين.

*منطقة المطارفة: توجد قصور المطارفة بمحاذاة أوقروت، فهي الحدّ الفاصل بين تيكورارين وتوات الأصلية، وهي بلاد ذات رمل، وتسمّى قرى الدغامشة[4] ومنها :أولاد محمود، أولاد راشد، أولاد علي، الساهلة، أوفران، كبرتن.

2- الأسواق:

وقد تدعّمت التجارة الخارجية لإقليم توات بسلسلة من الأسواق الداخلية، التي تضمن انسياب السلع وتنظيم عمليتي التصدير والاستيراد، حيث لعبت تلك الأسواق دوراً هاماً في حياة السكان، إذ تلبّي احتياجاتهم من المواد الغذائية والاستهلاكية، إضافة إلى كونها مركزاً تجارياً لعقد

1-يقرّب سكّان شروين بين اسم قصرهم والتعبير بالعربية: سرّ وين، أي بمعنى هناك حيث يوجد السر.

2- يقابلها بالعربية أولاد عيسى، كما يقابل أولاد سعيد آت سعيد، وآت القاضي أولاد القاضي، إذ أنّ آت كذا تعني أهل كذا، والقياس على ذلك. حسب إفادة السيد عبد الله الجوزي من أولاد سعيد.

3-أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ج 01، ص :81.

4-في رواية الدرامشة: وفي أخرى الدغامسة، وفي ثالثة الدعامشة، وهي قرى كثيرة بقرب أوكرت من توات. ينظر: أبو سالم العياشي، المصدر نفسه، ج 01، ص :81.

الصفقات والمبادلات التجارية، فهي القلب النابض للنشاط الاقتصادي، لذلك لم تخلُ مدينة أو قصر تواتي منها[1]. ومن أشهر تلك الأسواق موزعةً على الجهات الثلاث ما يلي:

***سوق تيميمون** : تيميمون قاعدة تيكورارين ، كانت مَجْمَعَ القوافل التجارية ، يلتقي فيها التجار من مختلف الأصقاع. وسكان تلك المناطق أغنياء، لأنهم اعتادوا الذهاب كثيراً بسلعهم إلى بلاد السودان[2]. أمّا المبادلات التجارية مع الأقاليم الشمالية وخاصة تلمسان خلال العهد الزياني، فكانت تتمّ في بادئ الأمر عبر سوق أولاد سعيد[3]، ثمّ تحولت بعد ذلك إلى سوق مدينة تيميمون التي وصفها الرحّالة بن الدين الأغواطي(ت1244هـ/1828م) بأنها" سوق عظيمة، يُباع فيها العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة، ويباع تراب الذهب بوزن المثقال بالأوقية"[4].

***سوق تمنطيط** : اشتهرت هذه السوق وأصبحت محطّ السلع والركاب ، بعد أن أفلَ نجمُ سوق بودة بسبب إغارة الأعراب (قبائل الصحراء) المستمرة ، وقطعهم الطريق على سابلتها وقد تنوعت بضائع سوق تمنطيط بتنوع مصادرها فشملت : العبيد والذهب والذرة البيضاء ، والملح والمصنوعات النحاسية والحلي وأدوات الزينة والخيل وسروجها والعطور والقمح والزيت والمنسوجات مما أثار إعجاب الرحالة الألماني جيرهارد رولف Gérhard Rohlf الذي اندهش من تنوع السلع المعروضة وكثرة الحوانيت[5]، كما انتصبت بها العديد من الحِرف والصنائع فمنها حوانيت الحدّادين وأخرى للنجّارين وأخرى لصنّاع الحلي.

***سوق عين صالح:** أقيم في أكبر قصورها قصر العرب ، حيث أصبح بمثابة مركز عبور والتقاء للقوافل التجارية العابرة للصحراء ، التي تضع حمولتها لبيعها أو لاستئناف السير بها. وترتبط شمالا بأسواق مدينتي المنيعة وورقلة حيث التمور والحلفاء، عبرَ عددٍ من الآبار

1-فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص: 63.

2-الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ج 02، ص:133.

3-رغم التوسّع العمراني المتنامي في تلك المقاطعة، إلاّ أنّه بالإمكان معاينة بقايا من تلك السوق، حسب ما وقفتُ عليه رفقة الشيخ إبراهيم عبد الرحمن، صاحب خزانة المخطوطات في قصر الشيخ بأولاد سعيد، يوم 22 مارس 2011 م

4 الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص 257

5 عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، المصدر السابق، ج 07، ص: 77.

بمعدّل مسافة يوم بين البئر والأخرى، كما ساهمت قوافل الحجيج الوافدة من قصر آقبلي والتي كانت تمكث أياماً بالمدينة وتَرِدُ سوقَها في تنوّع السلع وازدهار النشاط التجاري والمالي[1].

المبحث الثاني: العمارة العسكرية:

1_ التحصينات الميدانية:

أ- الثغور:

عرفت كلمة الثغر عدة معان منذ قديم الزمان وعدة دلالات في مصادر ومعاجم اللغة ، وذلك من خلال اشتقاقات كلمة الثغر، فقد جاءت بمعنى إنبات الأسنان أو سقوطها عند ابن دريد فيقال ":أثغر الغلام اذا نبتت ثغره، واثغَّر اذا ألقى أسنانه"[2]، وذكرت كلمة الثغر بمعنى الفم[3]، ويعرفه البعض أن الثغر يعني الفراغ بين شقين سهل سده وفي نفس الوقت يمكن العبور منه، وقد أجمع علماء اللغة العربية على تعريف اصطلاحي موحد فهو عند ابن سيده "موقع المخافة من فروج البلدان "[4] وقد عرفت الثغّور على أنها "منطقة الحصون التي بنيت على تخوم الشّام والجزيرة لصدّ غزوات الرّوم "[5]

وعلى هذه لا يمكن القول بأن القصور الصحراوية في توات كانت يوما ما ثغورا او ان أصل انشائها كان لهذه الغاية وهي الدفاع على ارض المسلمين.

ب_ الحصن والقلعة:

عرفت الحضارات الإنسانية القديمة الحصون والقلاع، وهناك العديد من الآثار الدالة على ذلك العطاء الإنساني، فقد عرفها العرب فيما قبل الإسلام كما عرفها غيرهم من الامم القديمة،

1 عبد الرحمن بن عمر التتلاني: المصدر السابق، ص: 03.

2 –ابن دريد أبوبكر محمد ابن الحسن: كتاب جمهرة اللغة، تحقيق بعلبكي رمزي منير، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، ص421.

3_ ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: ابراهيم الأبياري، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة 1971، ط1، م 5، ص 173. كذلك الفيروز أبادي الشيرازي محمد الدين محمد بن عقوب: القاموس المحيط، مطبعة بولاق مصر، ط 1، م 1، ص 379.

4–ابن سيده: المصدر نفسه، ص: 285.

5–دارة المعارف الإسلامية: ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرون، دار المعرفة القاهرة، د.ت.، ط،6، ص 203.

لكن زاد الاهتمام بالحصون والقلاع في فترة العصور الوسطى، وخاصة ما كان منها في مثلث العالم القديم، وهو المعروف اصطلاحا بـ(الشرق الأدنى) اي هو اليوم الشرق الأوسط[1]

وقد عرف ابن منظور في كتابه لسان العرب القلعة بأنها "الحصن الممتنع في جبل، جمعها قِلاعٌ وقِلعَ وقلَوُعٌ"[2]، وفي الموسوعة العسكرية جاء تعريف القلعة بأنها " الحصن"، وهي مشتقة من الكلمة الإسبانية التي أخذها العرب من الإسبان، عندما أطلقوا على شبه الجزيرة الأيبرية التي تضم البرتغال وإسبانيا اسم (القلاع)، فالكلمة الإسبانية Al Cala هي في أصلها لفظة عربية، وهنا فالدلالة اللفظية للحصن والقلعة واحدة، ولا يختلف كلاهما عن الغرض الذي من أجله تم بناء القلعة. والقلاع في نظام البناء على ثلاثة أنواع، إما أن تكون على جبل أو هضبة، أو مخندقة وحولها ماء، أو ما يجمع بين الخندقة والارتفاع.

وبعد هذا التعريف، فإن الغرض الحربي والعسكري لكليهما هو واحد تمثل في تحقيق الأهداف التي تم البناء من أجلها، وإذا اعتمدنا هذا التعريف كمرجع أساسي في اعادة تسمية المدن المحاطة بأسوار فهي اذن كلها حصون شأنها شأن القصور الصحراوية بأقاليم توات، ولكن إذا ما قارنّا بين تسمية القصر وتسمية الحصن فربما تكون هذه الأخيرة أقرب كثيرا من الأولى خاصة من الجانب اللغّوي فهناك فرق شاسع بين الحصن والقصر أما فيما يخص القلاع فلا أظن انها بنيت بالصيغة المرجوة بأقاليم توات[3].

ج_ الأربطة:

حفلت الحضارة الإسلامية بالكثير من العمائر التي انفرد وتميز بها المجتمع الإسلامي دون غيره من المجتمعات البشرية عبر العصور، واستمدت هذه العمائر مقومات وجودها و ازدهارها

1_ القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 1922م، ص: 189.

2-ابن منظور محمد ن مكرم بن علي الأنصاري: لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير وأخر، دار المعارف، بيروت، د.ت، ط1، ص: 486.

3-الموسوعة العسكرية: رئيس التحرير المقدم الهيثم الأيوبي وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1987، ص: 354.

من طابع الرّحمة والصّفاء النفّسي والرّوحي الذي اتصّفت به شريعة الإسلام ، و من هذه العمائر الأربطة و الزّوايا و غيرها ، وكلها عمائر ومنشآت روحية لم بعرفها العالم إلا في المدن الإسلامية، وقد ظهرت هذه المنشآت منذ القرن الأول للهجرة، و انتشرت في شرق العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري.

و أول هذه المنشآت ظهورا هو الرباط، وجاء تأسيسه في أول الأمر كمنشأة عسكرية، واخذ اسمه من المرابطة في سبيل الله، ومنه سميت دعوة المرابطين ودولتهم، وسميت مدينة الرباط في المغرب التي كانت على حدود الدولة الإسلامية، وكانت مأوى للمجاهدين في سبيل الله و المرابطين على حدود الدولة.

أثناء تدهور الحالة الأمنية تعمل الدول على انشاء اربطة لحماية حدودها وطرق قوافلها ومدنها بالتأكيد و كل هذه دوافع كافية لإنشاء هذه المنشآت مصداقا لقوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم "[1] جاء في لسان العرب رَبط الشيء بربطه فهو مَربوط وربيط والرباط ما ربطُ به والجمع رُبط، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو و اصلها ان يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا ، والرباط المواظبة على الأمر و رباط خيل مفردها رباط، 'مرابطة'، وتجمع على 'ربط' ورابطو و أربطة ورباطات، أي التّمركز على الثغّور والإقامة على جهاد العدوّ بالحرب، ورباط الخيل واعدادها العمل على مراقبة العدو والصدام مع مفارزه المتقدمة[2].

وقد كان لرباط السنغال الدور المهم قبيل انشاء دولة المرابطين خلال منتصف القرن الخامس الى السادس الهجري بحيث كان مدرسة ومعبدا ومكانا للجهاد وكان نواة الدولة التي لعبت دورا هام في التاريخ الإسلامي وتاريخ المغرب والأندلس معا[3]. والرّباط عبارة عن ثكنة تأخذ الشكل المستطيل، تزود بأبراج في الأركان، تتكون من صحن وعشرات الغرف الانفرادية دون نوافذ ويلحق به مسجد صغير[4] الموزعة حوله ومن طبقات تعلو جوانبه، تنتهي بجامع وصومعة

1_سورة الأنفال: الآية 60.

2_ابن منظور: نفس المصدر، م3. ص: 119.

3_ابراهيم على الجمل: الإمام عبد الله بن ياسين، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، الدمام، د ت، ص :80.

4_غربال محمد شقيق: الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة للطبع والنشر ، بيروت ، 1981. ص :861.

تستخدم للآذان وبرج للمراقبة تجنبا لغدر العدو كما تستخدم أيضا للاتصال بين الأربطة بواسطة المرايا العاكسة والنآر ليلا.

وقد أدى توقف حركة الفتوحات الإسلامية الى تقلصّ دور الأربطة، وزاد في هذا تغير نمط الجوش الإسلامية، وهو ما أدى الى تغير وظيفة الأربطة، وفقدها لطابعها الحربي، وصارت لها وظائف متعددة، حيث تغلبت ليها الصفة الدينية وحدها، ومع انتشار التّصوف تحولت الى دور للصوفية ما جعل مصطلح رباط مرادفا لمصطلحي خانقاه وزاوية. وهكذا تبدلت الأمور، وغدت الأربطة تقام في الأماكن العامرة، بعد أن كانت تقام في أطراف المدن وعلى حدود الدولةّ ، وصارت ملاجئ مستديمة لفريق من النآس يستحقون الرعاية، وبخاصة أصحاب العاهات وكبار السّن والعميان.

2_ التحصينات الثابتة:

يقصد بالتحصينات الثابتة هي تلك المنشئات العسكرية التي من شأنها رفع مناعة المدينة او الحصن، وفي هذه الّدراسة سوف نستعرض اهم الوسائل الدفاعية التي استخدمها المسلمون لتحصين مدنهم الى جانب توضيح بعض الابتكارات المعمارية والتقنية الحربية الإسلامية.

أ_ الخنادق:

الخندق أو الحفير هو نوع من المنشآت التي تنشأ لتحصين المستوطن[1]، والحفير هو الخندق خاصة الخندق الذي يحيط بحصن ما، لقد عرف الخندق كعنصر معماري أساسي في العمارة الإسلامية منذ عهد مبكر في الإسلام، أي منذ عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم حين امر بحفر خندق للمدينة المنورة قصد تحصينها من المشركين في غزوة الأحزاب (الخندق)[2] حيث منذ ذلك الحين بات يستعان به كعنصر دفاعي لتحصين مدن المسلمين. حيث تحصنت به

1 –ابن الرامي: الإعلان بأحكام البناء تحقيق محمد عبد الستار عثمان، دراسة أثرية معمارية، الإسكندرية، 2002، ص: 161.

2 – في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ، وقعت غزوة الأحزاب ، والتي عرفت بغزوة الخندق ، وهذا بمناسبة الخندق اي حفره الرسول والمسلمين بالمدينة المنورة في الجهة الشمالية تحصينا لها ، وقد حفر اربعون ذراعا في العمق على طول 12000ذراع ، كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتحصين المنازل التي هي بقرب الخندق ، و فكرة الخندق جاءت من عند الصّحابي الجليل سلمان الفارسي التي أشار بها على الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا "يا رسول الله ، انا كنا بأرض فارس اذا حوصرنا خندقنا علينا" و كانت بذلك أول ظهور للعمارة سلامية الدفاعية .

مدن عدة كدمشق خلال القرن السّادس الهجري، القاهرة اثناء حكم الفاطميين والفسطاط في العهد الأيوبي،[1]كما عرفته العديد من القصور الصحراوية، كقصر تماسين بورقلة، المنيعة بغرداية، وعين ماضي بالأغواط وجل قصور وقصبات توّات.

والخنادق تعتبر أحد الأساليب المعمارية لتحكيم الأرض، وعادة ما يكون محفورا بأعماق مختلفة تتجاوز المترين كأقل تقدير، بحيث يصعب على من يسقط فيه تسلقه، وكذا لا يقل عرضه على اربعة أمتار وان لا تترك بينه وبين سور القصر مساحة حتى لا يستطيع المهاجمون قفزه ولو كانوا على صهوة أحصنتهم، وكل هذا لتأمين وحماية أكبر للموقع المراد الدّفاع عنه، وكذا تعطيل وتيرة الهجوم ودفعها الى التباطؤ وترك المهاجمين في مرمى سهل المنال بأن تصيبهم نبال وحراب المدافعين. وقد تتخذ الخنادق أشكالا عدة، ولكنها تأخذ عادة شكل السّور المحيط، وبالطبع مراعاة تضاريس الموضع، وليس بالضّرورة أن يحيط الخندق بجميع جهاته بل يمكن أن ينشأ فقط بجوار المناطق الضعيفة حتى يرفع من دعامتها ومقاومتها. وعادة ما يملأ بالمياه خاصة في المناطق التي يتوفر فيها هذا العنصر الهام كمناطق شط ملغيغ واقليم توات مثلا، أين تصعد المياه الى السّطح دون عناء، او أن تشعل فيه النيّران أوقات الحروب، او يملأ بالعصي المسننّة والأشواك حتى يكون حاجزا ويمنع من يريد تجاوزه.[2]

ب_ الأسوار:

السّور هو نوع من التحصينات الدفاعية يلي الخندق مباشرة، يأخذ شكل حاجز ترابي أو خشبي أو حجري يحيط بالمدينة أو القلعة ويمتد على حدود المدينة، والأصل فيه أن المواد الناتجة عن انشاء الحفير من تراب وحجارة تكُون دروة ترابية تحيط بالمكان المراد حمايته، وفتحت في نهايتها العليا فتحات أو ما يشبه الشّرفات بغرض الرؤية والحماية وتسديد الضّربات من طرف المدافعين، وقد كانت هذه الفتحات على مسافات منتظمة ومحسوبة هي البداية في

1- حسن الباشا: مدخل الى الآثار الإسلامية، القاهرة، 1979، ص _ص: 186 – 187.

2-الموسوعة العسكرية: ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ساقية الجنزير، بيروت، 1990، ص_ص: 173-176.

انشاء الأسوار التي أنشئت فيما بعد بالطّوب أو الحجارة[1]. وتعتبر الأسوار من أهم التحصينات الحربية على الإطلاق سواء على مستوى المدن أو العمائر فهي تعتبر خط الدفاع الأول لقد عُرفت الأسوار منذ القدم شكلها الميداني والثّابت أو الدائم، وكان السّور الميداني يقام على عجل في زمن الحرب، أما الأسوار الثّابتة فكانت تقام في زمن السّلم وهي أقوي من الأسوار الميدانية وأكثر منها اتقانا، وقدرتها على تلبية مستلزمات المعركة لذلك اهتم المسلمون بإحاطة مدنهم بالأسوار المنيعة[2] لتكون درعا واقيا لها. وقد عرفت هذه المنشئات عبر التاريخ أشكالا مختلفة منها المستطيل والبيضاوية، ومرد ذلك الأساس كونها تعد رسما حدوديا للفراغ المراد تعميره، بحيث يبدء في تشكيلها أولا ثم يليها بقية المباني، و قد اتخذت في مصر و الشّام شكلا منتظما بينما تتعرّج و تتثنّى في المغرب و الأندلس، و قد استحدث هذا التّعرج لغاية واضحة وهي الرّفع من مناعة المدينة ذلك نجد أنهم عمدوا الى الإكثار من الزّواياّ الداخلية والخارجية بالسّور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرّجة منكسرة و ميزة هذا النظّام أنه يقلل من حدة تدفق جند العدو و يتركهم يتفرقون و عند توغلهم داخل المدينة يندفعون عليهم من أعلى الأسوار و الدروب فيفتكون بهم فتكا ذريعا وقد كان هذا الابتكار في عهد المرابطين[3]. وعلى هذه الشاكلة أصبح السّور خطا دفاعيا متكاملا، وحتى يستطيع هذا الخط الدّفاعي أن يحقق مهمته بكفاءة كان لابد من سهولة تزويده بما يحتاج إليه من العتاد، وتقويته سواء بمواد بناء قوية ومقاومة كالحارة مثلا أو تدعيمه بأبراج تعمل على إنقاص واضعاف شدة وحدة الهجوم القاضي بنقب السّور واختراقه، وكان كذلك لابد من سهولة الاتصّال بين الجند المدافعين عنه وتنظيم العمل بينهم بالصورة المطلوبة وهو أمر استدعى أن يخطط السور بمواصفات وقياسات دقيقة تفي بهذا الغرض، وقد انعكست هذه الأمور على العمارة وطريقة إنشاء الأسوار بما اشتملت عليه من عناصر معمارية مختلفة. ويتكون السّور في أعلاه من درب يسير عليه

1_ ابن الرامي: الإعلان بأحكام البنيان، ص: 161.

2–الأيوبي مقدم هيثم: مقال الأسوار، الموسوعة العسكرية، الطبعة الثانية، دار الفارس للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1990، ص: 458.

3 _عبد العزيز السيد سالم: بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، القسم الثاني، ص:599.

المحاربون ويطلق عليه ممشى السّور و شرفات يرمون منها سهامهم، و ذروات يحتمون خلفها و الذروات ككل هي على شكل قوائم تنتهي بشكل مخروطي، و يتخلل جسم الذروة فتحات، تساعد المدافع على النظّر الى الأسفل دون أن تصيبه صائبة من العدو ، كما تدعمه أبراج مختلفة ، فهناك مدن إسلامية كثيرة تقدم لنا أمثال رائعة في هذا المجال وتؤكد حرص المسلمين على هذا الجانب ومدى تفوقهم فيه، ومن الأمثلة على ذلك قلعة بني حماد ومدينة المنصورة بتلمسان(الملحق10)، وأشهرها على الإطلاق مدينة بغداد. وبالتّالي اعتبرت الأسوار معيار حضاري، واهم البنايات الحربية التي ميزت العمارة الإسلامية على الإطلاق[1].

ج_ الأبواب:

كان الاهتمام بصناعة الأبواب من أهم المطالب فتطلب تقويتها وكذلك الاعتناء بجانبها الجمالي اضافة الى عظمتها ابرازا لقوة وسطوة صاحبها.

جمع باب أبواب، وهو المنفذ في سور المدينة، أو واجهة مسجد، أو جدار بيت، يعد الباب من أهم العناصر الرئيسية في العمارة الإسلامية، وقد برع المسلمون في هذا النوّع من الصّناعات و اهتموا به كثيرا، فهي غالبا ما تكون النقّطة الأكثر ضعفا في السّور المحيط، ومنها من يفصل بين الغرف و أهمها ما يفصل داخل السّور عن خارجه، و كثيرا ما كان هذا الأخير الأكثر قوة و جمالا عن سابقه، لذا نجده محل اهتمام أكثر وغالبا ما تكون مصنوعة من الخشب المرصع بالحديد[2]، و قد ورد ذكر هذا العنصر في القران الكريم بقوله تعالى " و قال يا بني لا تدخلوا من باب واحد و ادخلوا من أبواب متفرقة... " [3] ويذكر ان هناك نوعين من الأبواب، فأما الأول يكون بدون إطار وهي تتحرك عند الفتح والغلق بواسطة صنارة، غالبا ما تكون من حجر وهذا النوّع هو الغالب في بلاد توات (الملحق08) والنوّع الثّاني يكون ذا إطار يثبت في مدخل الدار ويحمل بدوره الباب ويتكون هذا الإطار من اللوّح العلوي ويدعى

1- يحي حسين وزيري: العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصرة، مجلة عالم البناء، تصدر عن جمعية احياء التراث التخطيطي والمعماري، العدد 62، اكتوبر 1985، ص: 17.

2_ رزق محمد عاصم: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص: 266.

3 _ سورة بوسف: الآية 66.

الأسكفة[1] اما اللوحان الجانبيان فيسميان العضادتين[2] وأحيانا تكون هناك لوح خشبية سفلى تسمى بالعتبة قد تكون من خشب اومن الحجارة الغرض منها احكام غلق الباب وهذا النوّع هو الأكثر شيوعا في زماننا هذا. وقد يكون الباب من قطعة واحدة تسمى فردة او مصراع او من فردتين او أكثر[3]. ان الاهتمام بتقوية الأبواب خاصة منها الخارجية دفع بالمهندسين المسلمين الى ابتكار أسالب وطرق معمارية مختلفة لتحصينها، ولعل أُهم ابتكار معماري هو استخدام المدخل المنكسر والذي أطلق عليه المؤرخون العرب اسم "الباشورة"، فالمدخل المنكسر يعوق هجوم أي طارق ويمنع دخولهم بسهولة ويعيق اندفاعهم مرة واحدة، على عكس النظّام البيزنطي في بناء الأبواب التي هي عقدان متقابلان أحدهما ينفتح الى الداخل والآخر الى الخارج.[4]

د_الأبراج:

البرج هو عنصر معماري حربي، وهو الجزء القوى من التحصينات الدفاعية المعد للمراقبة والرّمي والدفاع والاحتماء، مصداقا لقوله تعالى:" أينما كنتم يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة "[5]وهذا دليل على قوة ومناعة هذا المعلم التحصيني، ولقد وجدت الأبراج على مقدمة من جنبات التحصينات والأسوار منذ العصور القديمة، وهي تعد من الأبنية الدفاعية التدعيمية التي أقامها المسلمون منذ العصور الأولى التي تلت الفتح حرصا منهم على أمنهم.

والبرج هو المبنى العالي الذي يشرف على أكبر مساحة ممكنة لاستطلاع العدو، أو إرسال إشارة ضوئية، ويستخدم كما قلنا للدفاع، ويشكل عنصرا دفاعيا ملحقا بسور المدينة أو القلعة أو القصبة وغيرها(الملحق09)، وأحيانا يكون منفصلا[6]، وهو بناء مرتفع ينتمي الى نسق

1 _ الأسكفة جمعها اسكفات ويقال لها النجران، انظر العسكري ابو هلال: التلخيص في معرفة اسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1969، ص: 273.

2_ العضادتين: هما لوحان خشبيان منصوبان عن يمين وشمال الباب، للمزيد انظر العسكري: المرجع نفسه، ص: 274.

3_ خضير فريال مصطفى: البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد،1983، ص: 107.

4_ يحي حسن وزيري: المرجع السابق، ص: 19.

5_ سورة النساء: الآية: 78.

6_ حسين أحمد الخرخوري: الأبراج تراث وتاريخ، مطبعة النخيل، الإمارات العربية المتحدة، 1998، ص: 12.

المصُطلح المعماري العسكري، ويشُكّل عنصرًا دفاعيا منفردا او مُلحقًا بسور مدينة أو قلعة أو قصرٍ أو أية عمارةٍ عظيمة، يحتلّ أركانه على جانبيّ البوابات أو يعلو المداخل، ويبنى عادةً في أعلى مراكز البناء ويبرز عنه، ويطل عليه وعلى حوليه ويكتشف الرؤية لأمداد بعيدة ويتفق ذلك والمعنى اللغّوي الذي ذكره كل من الجوهري من أن" الأبراج جمع برج وهي البيوت التي تبنى على نواحي أركان القصر، والبرج المحصن ركنه وربما سمي الحصن به"[1]، وكذا ابن منظور "وقيل للبروج، بروجا لظهورها، وبيانها، وبروزها وارتفاعها "[2]، وعرّفه إبراهيم أنيس في معجمه " البرج هو المحصن، بيت يبنى عليه سور المدينة وسور الحصن".[3]

ومع تطوّر المدفعية، فقدت بعض من الأهمية إلا أنها بقيت محافظة على الدور الأساسي الذي أنشأت من أجله حيث أصبحت أقل ارتفاعا وبروزا عما كانت عليه من قبل.

تعتبر الأبراج من الأجزاء الأساسية المكونة للسور وهي تعطي شكلا مسننا تكثر فيه الزّوايا والانكسارات، هذا من أجل زيادة فعاليتها من النّاحية الدفاعية. و هناك من الأبراج من يكون منفصلا عن السّور، حيث يوظف في أعمال دفاعية مستقلة بذاتها، كأبراج المراقبة، و يأخذ البرج أشكالا عديدة أسطوانية و دائرية ومربعة و مضلعة وهرمية وغيرها و في الأصل تكون الأبراج ركنية الا انه يزبد عددها بزيادة طول السور المقامة علبه فباتت جانبية بأشكال مختلفة تتوضع على جنبات الأسوار والمداخل لتوفير حماية أكبر حيث كان لقصر المشتى[4] سور خارجي مُربعّ الشّكل مُحصّن بأبراجٍ دائرية أو نصف دائرية كما في قصر الحير الغربي[5]، أو مضلع كالأبراج التي بناها الموحدون(514هـ-1121م- 667هـ-1269م) ، أو هرميّ كأبراج

1 _ الجوهري: الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1399هـ، ج1، ص:299.

2 _ ابن منظور: المصدر السابق، الجزء الأول، ص: 360.

3 _ ابراهيم انيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، 1985، ج1، ص: 47.

4 _قصر المشتى: على بعد" 30كم "جنوب العاصمة عمان والى الشمال من مطار الملكة علياء الدولي واكتشفه الرحالة "لايارد" عام 1840، قصر لمشتى هو بناء أموي مبني من الحجر الكلسي والطوب المشوي ويعتقد الباحثون انه يعود لفترة خلافة الوليد الثاني بن يريد" 743-744م.

5 _ قصر الحير الغربي: ويقع الى الجنوب الغربي من تدمر في وسط بادية الشام، بالقرب من جبل رواق على بعد 60 كيلومترا جنوب غربي تدمر. تم بناء القصر على أنقاض دير يعود الى العهد الغساني، وذلك في عام 109 هـ /.728 م

قصور توات، ومن مكونات البرج نجد البرانخ و المنابل والشّرفات التي توزّع في أماكن مدروسة على الجدران والمقاذف المفتوحة على مستوى أرض الممرّات، ومخازن المؤن وصهريج الماء أو البئر، ومستودعات السّلاح وأدوات الحرب والدفاع.

لكنهم في المقابل ابتكروا أنواعا جديدة من الأبراج واستعملوه في العمارة الحربية في الأندلس[1] وهو البرج البراني، وقد استعملوا الشّكل المثمنّ في بناء أبراجهم البرانية وهو تعبير أندلسي في الأبراج الخارجية عن نطاق السّور. فالبرج البراني يرتبط بالسّور الأصلي عن طريق ستارة ثانوية تسمى الفرجة (كزاشة) والهدف منها غلق الطريق أمام الأعداء في أضعف مناطق السّور، والأبراج البرانية تتخذ شكلا مربعا، أو مثمنا، أو متعدد الأضلاع. اضافة الى انواع الأبراج التي سلف ذكرها يمكن أن نضيف كذلك الأبراج الهرمية[2] التي تعتبر أهم ميزة في العمارة الدفاعية الصحراوية، وقد ترتبط الأبراج كلها او بعضها بممشى ينتقل من خلاله المحاربون من برج الى اخر وعادة ما يكون الممشى في الأسوار الضخمة المبنية من الصخور وهناك امثلة عديدة منها سور القاهرة كما ينتقل كذلك عبر سطوح منازل القصبة من برج لآخر شأن قصور توات كما توجد حالة اخرى وهي الانتقال من برج لآخر وهذا بالنزول الى ساحة القصر ثم الولوج الى برج آخر.

هـ_ الشرفات:

الشّرفة من الألفاظ العربية الصحية وجمعها شرفات او شراريف واتفق اغلب العلماء على أنها ما يوضع على اعالي القصور والمدن[3]. وقصر مشرف مطول اي طولت ابنيته بالشروف[4]. وتعتبر أحد العناصر التكميلية في العمارة سلامية اذ انها تتوج جدرانها بهيئات واشكال هندسية مبتكرة المسننة منها والمدرجة والنصف دائرية (الملحق10)، تحيط بأعلى ذروة المباني فتشكل

1 _ يحيى حسن وزيري: المرجع السابق، ص: 91.

4-P. CRESSIE, « La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographies» Archéologie Islamique, n°5, 1995, P 177-178.

3_ ابن السيدة ابو الحسن على بن اسماعيل: المرجع السابق، ص: 453.

4 _ ابن منظور: المصدر السابق، ج9، ص:192.

هذه النهايات عنصر معماري له أهمية واغراض مختلفة، ومنه حديث " لا تشرف يصبك سهم" ومشارف الأرض اعاليها، والمشروف اي قد شرف عليه غيره.[1]

واستعملت على واجهات المساجد والمدارس ونحوها من العمائر وكانت تعمل من الحجر والأجر في العمائر ومن الخشب والمعدن في الأبواب الخشبية والمصفحة بالنحاس ومن تلبيسات ملونة متداخلة في الرّخام ومعشقة في العقود المزررة. وقد تؤجت واجهات الأسوار الإسلامية في مصر والشّام عادة بشرفات حجرية او آجرية ذات اشكال نباتية او مورقة او اشكال هندسية مسننة، كانت الشّرفات النباتية منها هي الأكثر شيوعا واستخداما وكان المفرغ منها بمثابة شرفة ثانية متداخلة في الأولى اما الشّرفات المسننةّ فكانت قاعدتها اعرض من قمتها من اجل متانة تثبيتها وكان لهذه الشّرفات المسننةّ وظيفة حربية اصلا لأنها كانت تقوم في اعلى الحصون والأسوار، وبعد دراسة كل هذه الخصائص المعمارية العسكرية للمدينة الإسلامية، سوف نتطرق لدراسة كل منطقة من مناطق الإقليم الثلاث بصفة منفردة مركزين على الجانب المعماري العسكري فيها، هذا الشّاهد المعماري وجد في جميع اربطة ومدن المغرب، كفاس والقيروان وغيرهما الكثير. وقد تطوّرت صناعته الى أن أصبح من جديد عنصرا زخرفيا تزخرف به واجهات القصور والمساجد مثل ما هو الحال في جامع القيروان، وجامع بن طولون سنة (263هـ-876م/265هـ-879م)، ويقتصر وجوده في نهايات جدران السّطوح والأسوار مثل قصر اولاد الحاج بتديكلت وجل قصور توات، كما يمكن تصنيف عنصر أخر من عناصر العمارة العسكرية وهو تلك الزّراديب و الدهاليز السّرية التي تنشأ تحت المدن و تستعمل خاصة للانسحاب أو للإمداد و قد جاء ذكرها في العديد من المصادر و المراجع التاريخية على سبيل الذكر لا الشرح ذلك أن معظمها ظل في طي السر والكتمان لا يعلمه إلا مهندسو تلك البنايات و حكامها سواء في عمارة المسلمين او عمارة الحضارات القديمة بلاد فارس والفراعنة وحتى الرومان من بعدهم فقد كانت هناك العديد من الإيحاءات في هذا الجانب و قد استعمل هذا النوع من العمارة للإمداد أو الانسحاب في حالة الحصار أو الهزيمة، إلا أنها ونظرا للسرية التي أحيط بها هذا النوّع من المنشئات و هذا واضح من خلال تسميتها،

1 _ مرزوق عاصم محمد: المرجع السابق، ص: 121.

فبقيت في أمر الغيب و لم يتطرق أي الى دراستها ، إلا انها بالّضرورة الملحة تكون موجودة كونها أخر حل لحماية رموز الملك و الدولة ، و لا يمكن لأحد ان ينفي وجودها في قصور توات، خاصة ان كل القصور الصحراوية تحتوي على مغارة او غرفة واسعة تحت أرضية تخص جميع سكان القصر تستغل في أيام الصيف الحار للراحة لما توفره من جو رطب ومنعش و لما لا تكون هذه الغرف هي احدى محطات هذه الدهاليز (صورة20) [1].

1 _ عكاشة ثروت: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة 1961، ص: 20.

الخاتمة

- الخاتمة

-هي قليلة المراجع التي تكلمت عن العمران وأقل منها كذلك من تكلمت عن العمارة القصورية، وعادة ما يعرج على الحديث عنها او وصفها في سياق الحديث عن المدن الصحراوية بصفة عامة، ولم تستثنى قصبات توات من هذا، فالمتصفح كل ما جاء عن الرحالة والجغرافيين عن هاته البلاد لم يتطرّق اطلاقا لعمارتها، فكان الحديث دائما عن عادات أهلها، وحتى المؤرخون من اهل المنطقة أنفسهم لم يتطرقو هم كذلك الى هذه العمارة حتى بحديثهم عن النزاعات والحروب التي دارت بين قبائل توات.

-شهرة بلاد توات جاءت بسبب طرق القوافل التجارية المارة بها والرابطة بين ممالك الجنوب في بلاد السودان كمملكة سنغاي مثلا بدول الشمال من بلاد المغرب الإسلامي، فلا تكاد تمر قافلة قادمة من الشمال خاصة من الغرب الإسلامي الا وتمر على هذه البلاد، فنشأت بذلك قصور عدة على محور كل هذا الطريق و ظهرت أسواقا جديدة بها تتوسّط الواجهتين، فبدل من أن تسير القوافل كل هذا الطريق من الشمال من بلاد المغرب الى الجنوب في بلاد السّودان فباتت توات ملتقى لهم يتناصفون فيه الطريق ويبيعون ويشترون ما يريدون، فبضائع الشمال وبضائع الجنوب كلها معروضة في توات ولعل من أهمها سوق تمنطيط .

- قد ورد ان بداية تعمير تلك المناطق كانت حوالى سنة 472م وهو تاريخ بناء قصر تمنطيط، وهي من اولى المناطق التي عرفت تواجد الجالية اليهودية كذلك وبسبب ازدهار وانتعاش التجارة بالإقليم استمرت الهجرات اليه حتى القرن الثّلث عشر الهجري الموافق للتاسع عشر ميلادي(13هـ-19م)، حيث إن عملية النشأة والتطور خضعت في البداية لحركة الهجرة التي عرفتها تلك المناطق، فنتج عن هذا التوسع رخاء كبير للإقليم و باتت هناك أطماع كبيرة، فدفع بالكثير الهجرة الى هذه البلاد من كل الأجناس و الأديان ونظرا الى ان أكثر هذه القبائل هم من العصاة والفارين من الأوضاع السياسية في بلدانهم الأصلية، فكانت القبلية هي القوة السياسية المسيطرة في غياب سلطة حاكمة فعلية.

-مما لا شك فيه أن ما يمكن استنباطه كفائدة من هاته الدراسة تكمن في فتح افاق جديدة للبحث في هذا النوع من العمارة، وخاصة إمكانية قراءات جديدة في وضع خصائص العمارة

بصحراء المغرب الإسلامي عامة وخصائص المسكن المحصن (القصبة) خاصة، وذلك في فترات تاريخية مختلفة.

-من شروط تحصين المدن والثغور هو اختيار الأماكن المرتفعة والمحصنة طبيعيا كانت العادة في اختيار أحصن وارفع المواضع لإنشاء القصبات، فمنطقة القورارة مثلا معظم قصباتها تحتل قمم الهضاب.

-قصبات تمنطيط مثلا توضعت كلها على هضبة يسيرة الارتفاع لكن اجتماع كل هذه القبائل في منطقة واحدة وفر القوة لردع الأعداء وهي كذلك من الشروط الواجب الأخذ بها في اختيار الأماكن، فهنا بات الاجتماع هو الدافع الثاني من الشروط الواجب توفرها لبناء قصبة. القصبات التي تتوضع على قمم عالية ليس لها شكل معين فأسوارها تتوضع على الحواف العليا للهضاب وعادة ما تكون دائرية او شبه دائرية وكمثال عن ذ قصر شروين بالقورارة فهو يميل في شكله الخارجي الى البيضوي وهي حتمية فرضتها عليه تضارس الربوة التي أنشأ عليها حتى لا يترك مساحة للمناورة مع الأداء.

الملحق

الملحق رقم 01: اجزاء من نظام الفقارة بتوات

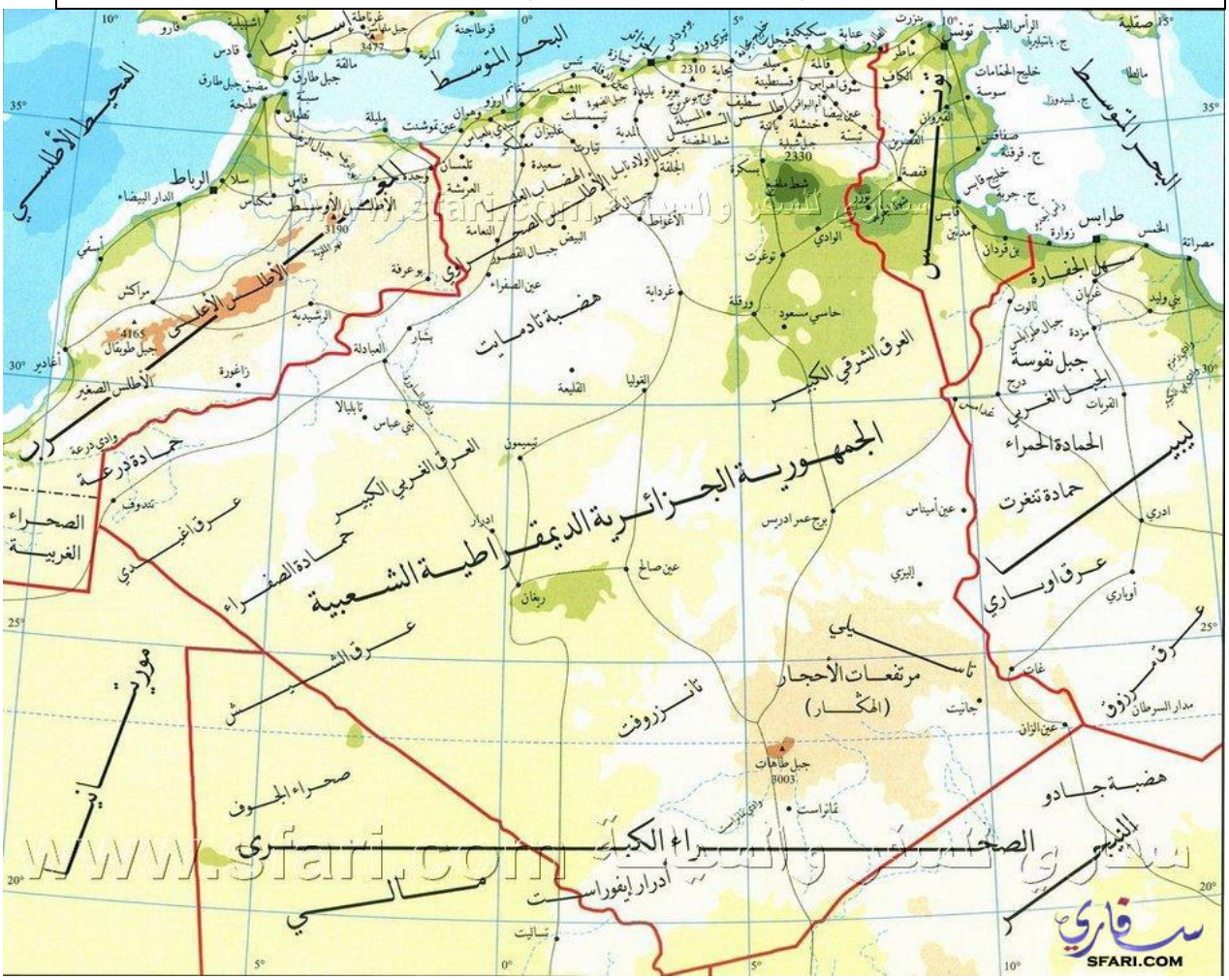

الملحق رقم02: خريطة طبيعية للجزائر (اقليم توات) عن محمد الهادي العروق

ش

الملحق رقم 03: أقاليم توات الثلاث وعواصمها

الملحق رقم04: ضريح الشيخ بن عبد الكريم المغيلي

أحد المساجد القديمة بانزجمير

مدخل مسجد انزجمير

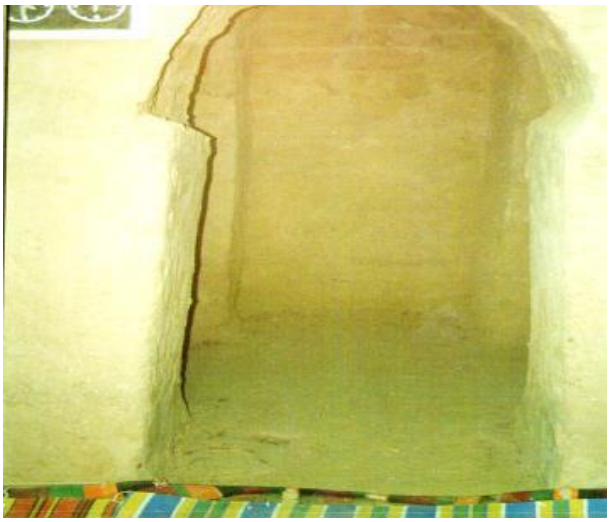

محراب مسجد الإمام المغيلي

بيت الصلاة البلاطة الوسطى

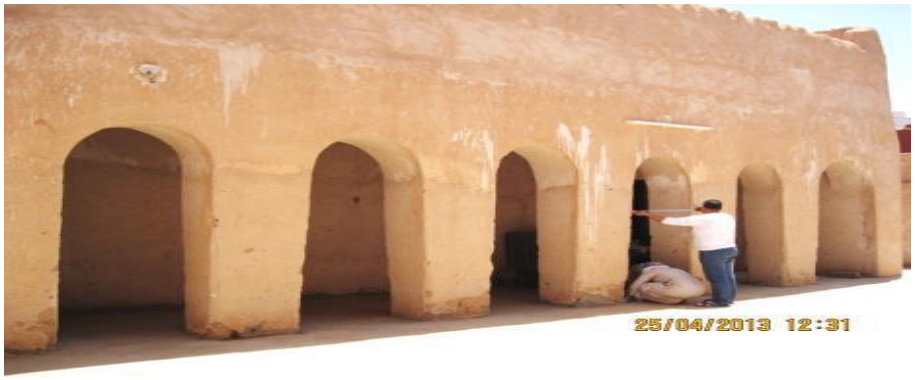

مسجد سيدي علي بن احمد الرقاد

الملحق رقم05: صور لبعض مساجد الإقليم.

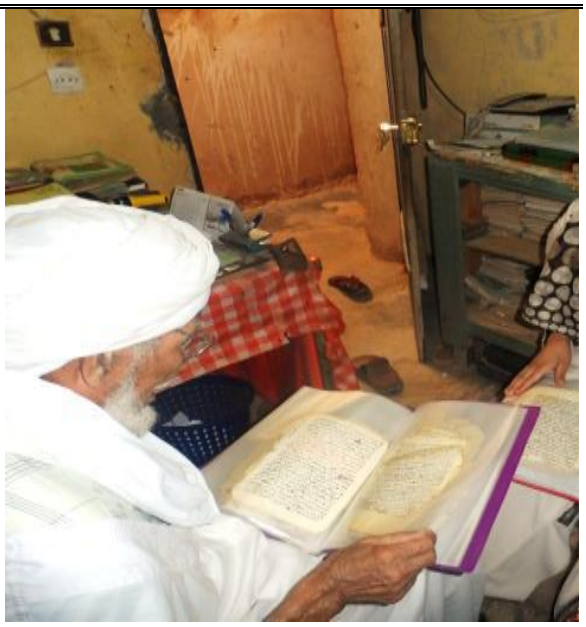

الخزانة البكرية بتيمي

بعض من مخطوطات خزانة كوسام

خزانة الشيخ عبد الرحمان الزجلاوي.

الملحق رقم 06: صور لبعض الخزائن

زقاق وسط القصبة. زاوية كنته

المساكن داخل قصبة الشرفاء زاوية كنته

قصبة ابا جودة بتيديكلت، بتصرف عن قوقل

الملحق رقم 07: نماذج لبعض القصور

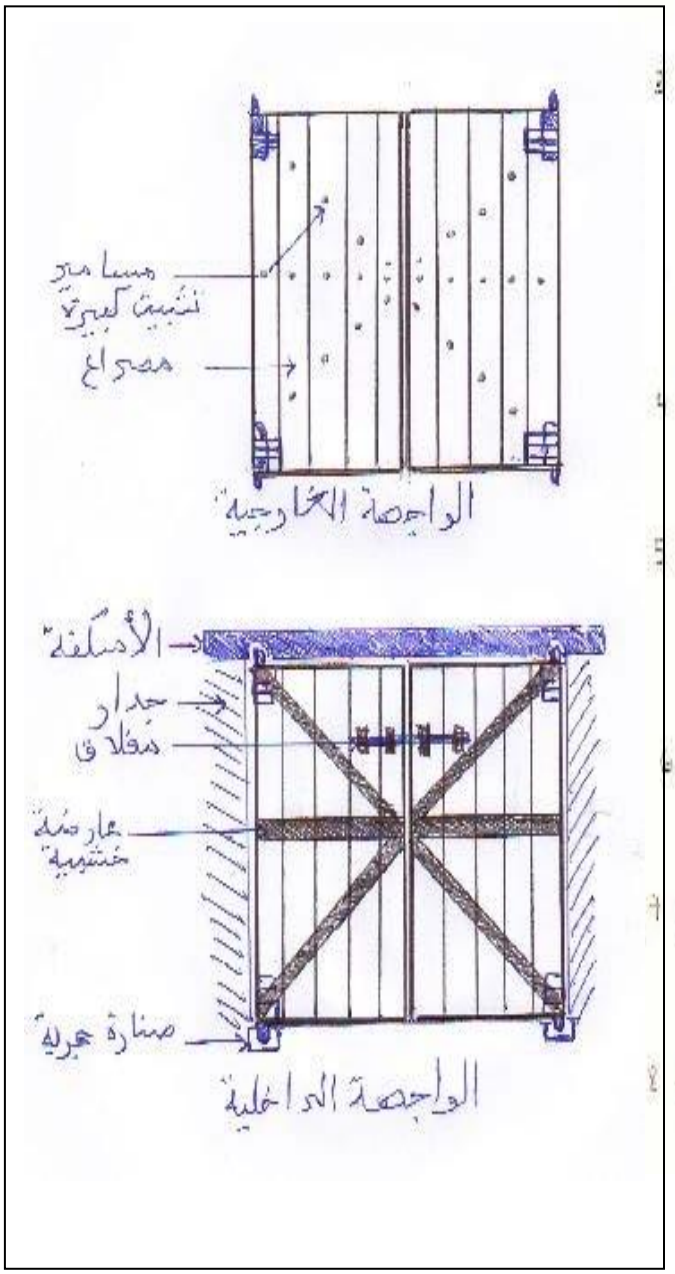

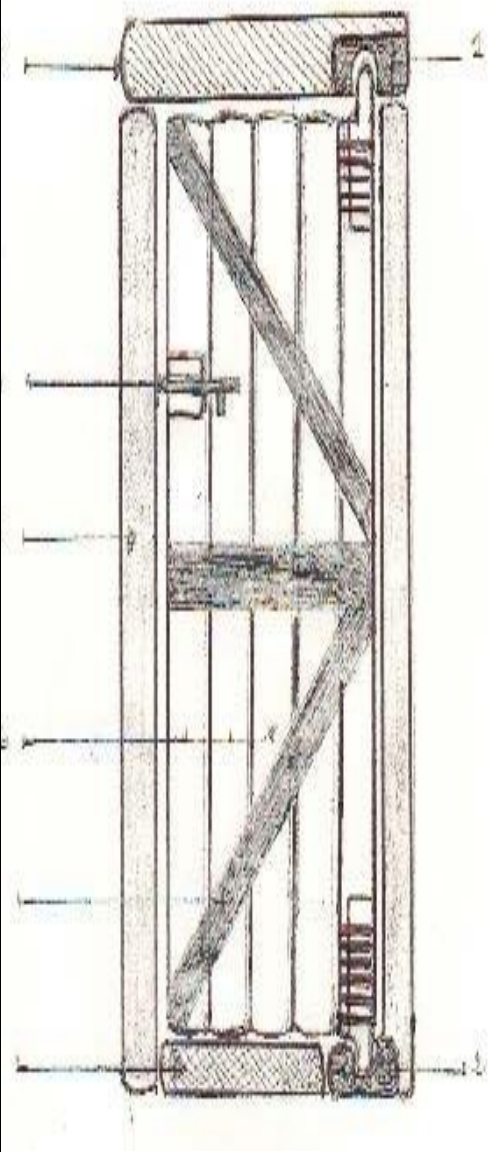

1- صنارة علوية خشبية. 2- صنارة سفلية حجرية . 3- الأسكفة · 4- المغلاق او البلج.

5- عضادة. 6-الواح خشبية.7- دعامة خشبية .8- العتبة .9- حبل تثبيت (رباط.)

الملحق رقم08: تفاصيل الباب التقليدي بتوات

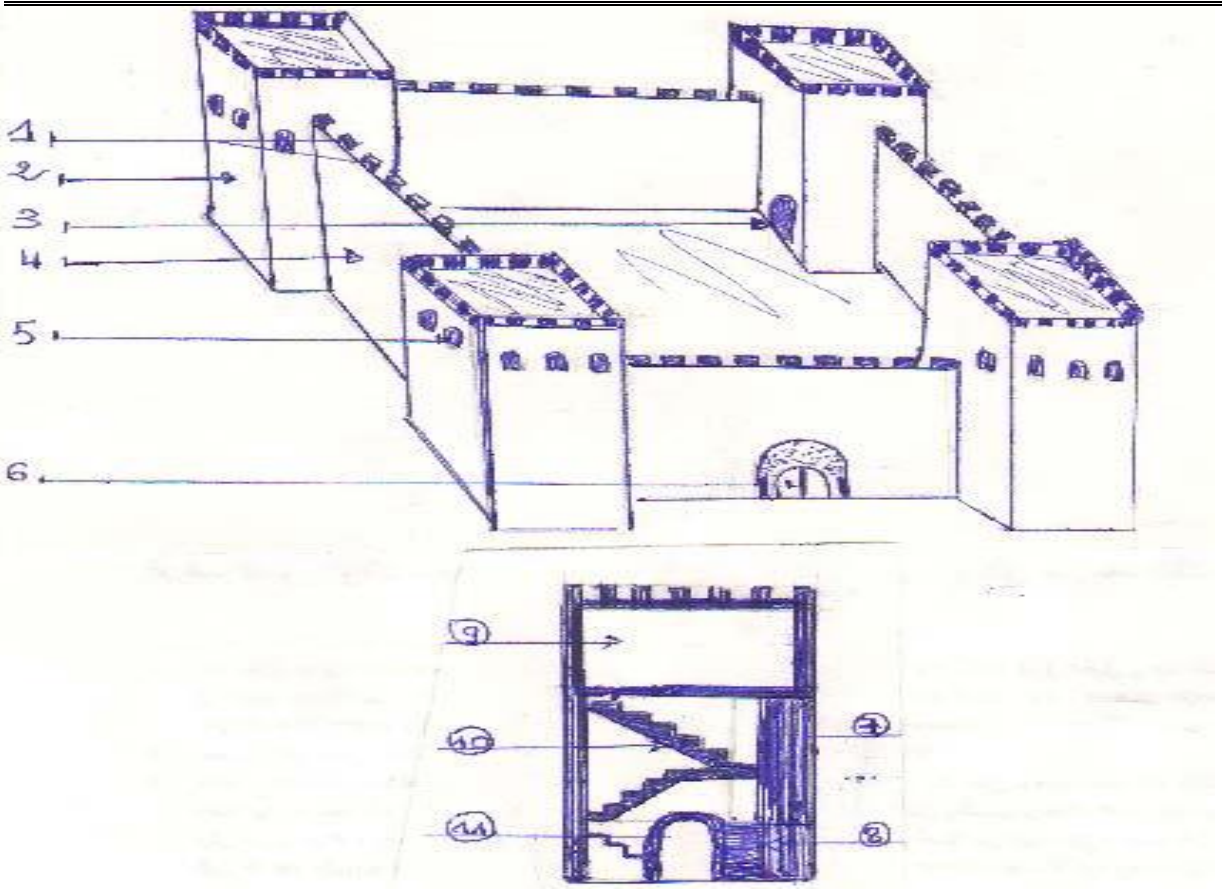

1-الشرفات 2-برج ركني 3-مدخل أحد الأبراج 4-سور جانبي 5-مزغل 6-المدخل الرئيسي 7-جدار خارجي لأحد الأبراج 8-الجزء الخارجي المصمت 9-غرفة المحاربين 10-درج 11-مدخل البرج.

الملحق رقم 09: بيان تفصيلي لأبراج الركنية وتفاصيلها الداخلية.

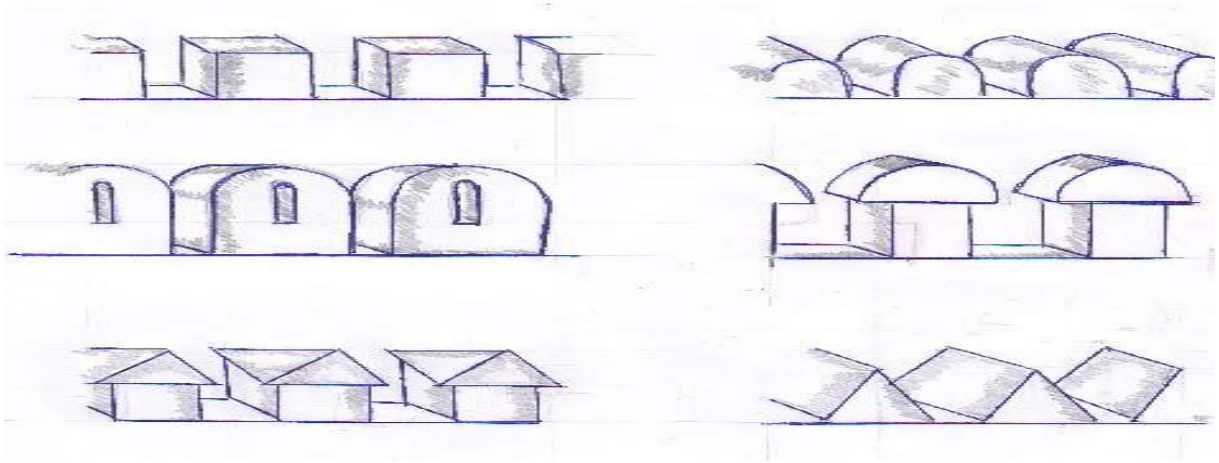

الملحق رقم 10: أشكال مختلفة للشرفات

برج هرمي من توات

برج مخروطي من عمان

برج مضلع من المغرب

برج مربع من منصورة تلمسان

برج دائري من تونس

برج علوي من الأردن

الملحق رقم11: أشكال مختلفة من الأبراج الحربية الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

-قائمة المصادر والمراجع

- المصادر:

-القرآن الكريم

1. ابن بطوطة محمد بن عبد الله: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق :عبد الهادي التازي، ج04، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1997.
2. ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكّار، بيروت، دار الفكر، 2001 م، ج07.
3. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير وأخر، دار المعارف، بيروت، د.ت، ط1.
4. الفشتالي أبو فارس عبد العزيز: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق: عبد الكريم كريم، الرباط، مطبوعات وزارة لأوقاف.
5. الإدريسي مولاي أحمد الطاهري: نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق: مولاي عبد الله الطاهري، الجزائر، 2010.
6. الإدريسي: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، خزانة كوسام، توات.
7. الذّهبي شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط 11، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996 م، ج 02.
8. الطيب بن عبد الرحيم: مخطوط البسيط في أخبار تمنطيط، نسخة مصورة، خزانة كوسام للشيخ الطيب.
9. عبد الرحمان بن إدريس التنلاني: الرحلة من توات إلى الجزائر، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار.
10. عبد الرحمن بن عمر التنلاني: رحلة حجية لعام 1188 هـ، مخطوط بخزانة قصر باعبد الله، تيمي، أدرار.
11. القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 1922م.

12.محمد بن عمر الجعفري البوداوي: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة بن حسان، تنيلان، أدرار.
13.الناصري أبو العباس: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

-المراجع:

1. ابراهيم انيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، 1985، ج1.
2. ابراهيم على الجمل: الإمام عبد الله بن ياسين، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، الدمام، د ت.
3. ابن الرامي: الإعلان بأحكام البناء تحقيق محمد عبد الستار عثمان، دراسة أثرية معمارية، الإسكندرية، 2002.
4. ابن دريد أبوبكر محمد ابن الحسن: كتاب جمهرة اللغة، تحقيق بعلبكي رمزي منير، دار العلم للملايين، لبنان، ط1.
5. ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: إبراهيم الأبياري معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة 1971، ط1، م 5.
6. أحميدة بن زيطة: الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرة الثقافة لولاية ادرار، أيام:1، 2، 3ماي 2000م.
7. الأغواطي الحاج ابن الدين: رحلة الأغواطي، ترجمة: أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط 02، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1990م.
8. الأيوبي مقدم هيثم: مقال الأسوار، الموسوعة العسكرية، الطبعة الثانية، دار الفارس للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1990.
9. بكري عبد الحميد: نبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2006.

10. ثياقة الصديق: النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظيفته الاجتماعية مقاربة أنثروبولوجية لقصر "تمنطيط" ادرار، رسالة ماجستير في علم الاجتماع (أنثروبولوجيا)، 2006م، جامعة وهران.
11. جعفري احمد: " الفَقَّارَة .. نظام السقي الصحراوي العجيب" مقال منشور بمجلة "تراث " الصادرة عن هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام، مدينة العين / الإمارات العربية، العدد 131، أغسطس 2010.
12. الجوهري: الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1399هـ، ج1.
13. حسن الباشا: مدخل الى الآثار الإسلامية، القاهرة، 1979.
14. الحسن بن محمد الوزّان: وصف إفريقيا، ط 2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983 م، ج 02.
15. حسين أحمد الخرخوري: الأبراج تراث وتاريخ، مطبعة النخيل، الإمارات العربية المتحدة، 1998.
16. حوتيه محمد: توات والأزواد، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007 م.
17. خضير فريال مصطفى: البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد،1983.
18. دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرون، دار المعرفة القاهرة، د.ت.، ط،6.
19. رزق محمد عاصم: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.
20. رشيد بليل: قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، ترجمة: عبد الحميد بورايو، الجزائر، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 2008 م.
21. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500_1830، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998.
22. السعدي عبد الرحمان: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م.

23. الصديق حاج احمد: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11-14 هـ/17-20م دار الثقافة لولاية ادرار، الطبعة الأولى، 2003.
24. عبد العزيز السيد سالم: بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، القسم الثاني.
25. عبد الغني العزواي، عبد الحليم بولغيتي: التربية النظامية والغير نظامية، مقارنة بين ثانوية وزاوية، مذكرة ليسانس تخصص علوم التربية، بإشراف بوفلجة غيات، كلية علم النفس جامعة السانية، وهران، 2005/2004م.
26. عبد الكريم الطموز: فهرس شيوخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني (ت 1152 هـ)، تحقيق ودراسة، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: أ د بوبة مجاني، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2009- 2010م.
27. عبد الكريم عوفي: التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، مجلة أفاق للثقافة والتراث، س5، ع20_21، أفريل 1998.
28. عكاشة ثروت: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة 1961.
29. العياشي أبو سالم: الرحلة العياشية (ماء الموائد)، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الإمارات، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006م.
30. غربال محمد شقيق: الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة للطبع والنشر، بيروت، 1981.
31. فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.
32. محمد السالم نواري: المدارس القرآنية وآثارها في التعليم المدرسي بمنطقة توات خلال القرن 14هـ، مدرسة الشيخ محمد بلكبير نموذجا، مذكرة ليسانس، قسم اللغة العربية وآدابها بإشراف الأستاذ احمد الأمين كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2004/2003م.
33. محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، الجزء الأول والثاني، دار هومة الجزائر، 2005.

34.محمد بن سويسي: العمارة الإسلامية في تمنطيط، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص: 180.

35.محمد بن عبد الكريم البكراوي: درة الأقلام، المكتبة الشعبية بتمنطيط.

36.محمد بن عمر المبروك: نقل الرواة في من أبدع في قصور توات، خزانة كوسام.

37.محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث، دمشق: الجمعية التعاونية للطباعة.

38.الموسوعة العسكرية: ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ساقية الجنزير، بيروت، 1990.

39.الموسوعة العسكرية: رئيس التحرير المقدم الهيثم الأيوبي وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1987.

40.يحي حسين وزيري: العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصرة، مجلة عالم البناء، تصدر عن جمعية احياء التراث التخطيطي والمعماري، العدد 62، اكتوبر 1985.

41.

- المراجع باللغة الأجنبية:

1. P. CRESSIE, « La fortification islamique au Maroc Eléments de Bibliographies» Archéologie Islamique, n°5, 1995.

الفهرس

الفهرس

مقدمة:..... أ

فصل تمهيدي..... 4

1- الفقارة..... 5

2- الواحة..... 7

3- القصر (القصبة أو النسيج القديم)..... 7

4- **الزوايا**..... 8

الفصل الأول: البيئة الجغرافية والتاريخية لإقليم توات 10

تمهيد..... 10

المبحث الأول: الموقع والخصائص الطبيعية..... 10

- تحديد منطقة توات 10

المبحث الثاني: تسمية الاقليم..... 17

المبحث الثالث: أهمية إقليم توات تاريخيا..... 20

1- **توات في المصادر التاريخية** 20

2- الأهمية التجارية للمقاطعات التواتية 23

الفصل الثاني: العمارة الدينية في إقليم توات..... 27

المبحث الأول: الزوايا والأضرحة..... 27

1-الزوايا..... 27

2-الأضرحة..... 31

المبحث الثاني: المساجد والمدارس القرآنية..... 32

1_ المساجد..... 32

2_ المدارس القرآنية.....33
المبحث الثالث: الخزائن.....34
1-تعريف خزانة المخطوطات.....34
الفصل الثالث: العمارة المدنية والعسكرية.....37
المبحث الأول: العمارة المدنية.....37
1- القصر (القصبة).....37
2- الأسواق.....41
المبحث الثاني: العمارة العسكرية.....43
1_ التحصينات الميدانية.....43
2_ التحصينات الثابتة.....46
- الخاتمة.....56
الملاحق.....58
-قائمة المصادر والمراجع.....69
الفهرس.....75

ملخص :

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر بعنوان : التطور العمراني بإقليم توات خلال العصر الوسيط، تتكون من مقدمة وفصل تمهيدي يحتوي على بعض التعريفات مثل الفقارة، القصبة، القصر وفصل أول بعنوان : البيئة الجغرافية والتاريخية لإقليم توات، ذكرنا فيه أصل التسمية وأهم الروايات عن أصل التسمية، والموقع الفلكي والجغرافي للإقليم، وجهاته الثلاث : – توات الوسطى – تينكورارين – تيديكلت، وأهم قصور كل جهة.

فصل ثاني بعنوان: العمارة الدينية حيث تطرقنا فيه لأهم المعالم الدينية في الإقليم تلك الفترة منها الزوايا والمساجد والأضرحة، مع تقديم أمثلة عن كل عنصر منها.

فصل ثالث معنون بـــ: العمارة المدنية والعسكرية، حيث أشرنا في المبحث الأول للأسواق وأهم الطرق التجارية، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى أهم الهياكل العسكرية من تحصينات ميدانية وأخرى ثابتة.

وختمنا المذكرة باستعراض اهم النتائج المتوصل إليها.

ومجموعة من الملاحق وقائمة للمصادر والمراجع المعتمد عليها وفهرس المذكرة.

الكلمات المفتاحية : العمارة – توات – تينكورارين – تيديكلت – القصر – القصبة – الفقارة – الواحة – الزوايا – المساجد – الأضرحة – التحصينات الميدانية – التحصينات الثابتة.

Summary

Supplementary Memorandum for Obtaining a Master's Degree entitled: Urban Development in the Touat Region during the Medieval Period.** It consists of an introduction and a preliminary chapter containing some definitions such as foggara, kasbah, and qasr. The first chapter is titled: The Geographical and Historical Environment of the Touat Region, in which we mentioned the origin of the name and the most important stories about the origin of the name, the astronomical and geographical location of the region, and its three parts: - Central Touat - Tinkourarine - Tidikelt, and the most important qasrs in each part.

The second chapter is titled: Religious Architecture, in which we discussed the most important religious landmarks in the region during that period, including zawiyas, mosques, and shrines, with examples of each element.

The third chapter is titled: Civil and Military Architecture, where we pointed out in the first section the markets and the most important trade routes. The second section discussed the most important military structures, including field fortifications and permanent fortifications.
The memorandum concludes by reviewing the most important results achieved and includes a set of appendices, a list of sources and references used, and an index of the memorandum.

Keywords Architecture - Touat - Tinkourarine - Tidikelt - Qasr - Kasbah - Foggara - Oasis - Zawiyas - Mosques - Shrines - Field fortifications - Permanent fortifications.